روائع شكسبير

حلم ليلة صيف

مكتبة معروف

روائع شكسبير

حلم ليلة صيف

حمدى السعداوى

مكتبة معروف

الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة، ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

تعريف بالكاتب

* وليم شكسبير من أعظم شعراء الأنسانية .

كان مولده فى شهر أبريل من عام ١٥٦٤ ببلدة ستراتفورد الأنجليزية وكان والده رجل أعمال ناجحا وكانت أمه من بنات عائلة ثرية معروفة وتعلم شكسبير مع أخوته الأربعة فى مدرسة البلدة حيث كان يدرس اللاتينية وأداب الأنجليزية ويبدو أن شكسبير أستطاع بطريقته الخاصة أن يزود معرفته باللغة الفرنسية وكذلك الإيطالية .

وفى عام ١٥٧٧ وكان عمره ١٣ عاما .. أضطر شكسبير إلى ترك الدراسة والألتحاق ببعض الأعمال البسيطة كى يساعد والده فى تدبير أمور معيشة الأسرة وذلك بعد أن ألمت بالأب بعض الصعاب المالية جعلته يفقد أعماله الناجحة .

وفى الثامنة عشر من عمره تزوج وليام شكسبير من أمرأه تكبره بثمان سنوات ورزق منها بثلاثة أولاد ولكنه لم يستطع التأقلم على الحياة الزوجية التى تتطلب من المرء ألتزاما وثباتا لم يجدهما وليام متوافران لديه .. فكان كثيرا ماينشب الشجار بين الزوجين ، ودفعت

تلك الأزمات بشكسبير إلى مجـموعة من أصدقاء السوء .. فكان وهو فى تلك السن الصغيرة نسبيا يقتـرف معهم بعض الأعمال الإجرامية الصغيرة كسرقة الأرانب والغزلان من مزارع الأعيان .

وفى عام ١٥٨٥ نظم شكسبير قصـيدة فى هجاء أحد الوجهاء فى بلدته .. ويبدو أن هذا الوجيه قد ضايقـه بسبب تلك القصيدة ، فعزم وليام شكسبيـر على أن يترك سـتراتفورد إلى حـين ، وغادرها إلى لندن التى وصلهـا معـدما ، بلا صنـعة يحـترفـها أو مـهنة يتقنهـا ، ويختلف المـؤرخون فى تفاصـيلها تلك الفـترة الأولى من حـياته فى لندن .. فمنهم من يقول أنه أمتهن حراسة خيول رواد المسرح الأثرياء والذين كـانوا يتركـونها خـارج المسـرح . ومنهم من يقول أنه عـمل كخادم فى المسـرح . ولكن الأرجح أنه عمل كمـساعد ملقن مستـعينا فى ذلك بمحصـول دراستـه الأدبية فى الأدب الأنـجليـزى ومعرفـته ببعض اللغات الأجنبية .

وفى عام ١٥٩٢ تقريبـا بدأ وليام شكسبير عـمله ككاتب مسرحى له قدره وذلك بعد أن أشتهر بين الأوساط الفنية فى لندن بأنه مراجع جيد للنصوص المسرحـية ، أما أولى وثباته فى تاريخ النـجاح فكانت فى عام ١٦٠٣ حين أعتلى چيمس الأول عرش أنـجلترا ودعاه ليمثل فى القصر الملكى أمام الملك ورجال البلاط المحترمين .

وفى عام ١٥٩٧ عـاد وليام شكسبـير إلى بلدته سـتـراتفورد التى غادرها مـعدما ، وهناك أشـترى بعض العقـارات ومخزنين للحـبوب

وعاد أســمه وأسم عـائلته إلى الظهـور مرة أخرى ، وأســتقـر وليام شكسبير فتره فى بلدته يوطد فيها مركزه ويعيد لأسم عائلته مجدها الذى ضاع سنينـا طويلة ، ثم عاد إلى لندن عام ١٥٩٩ ليؤلف ويمثل العديد من المسرحيـات الناجحة ، وبلغ نـجاحه حدا كـبيرا لدرجة أنه أستطاع أن يحصل على جزء من أرباح مسرح الكرة الأرضية الشهير وكان من أكبر مسارح أنـجلترا فى هذا العهد .

وفى عام ١٦١١ أنهى شكسبير نشـاطه المسرحى فى لندن بعد ما أثرى الأدب الأنـجليزى بمجموعة كبيرة من الأعمال الفنية جعلته بحق أمير الأدباء فى عصره ، وفى عام ١٦١٦مات فى ستراتفورد عن عمر ٥٢ عاما تقريبا ، ودفن فى بلدته التى غادرها صغيرا ولكنه عاد إليها شخصا معروفا ، ثريا تتناقل أسمه كل محافل أنـجلترا الأدبية ..

ترك وليام شكسـبير تراثا خالدا من الأعمال الأدبيـة العظيمة يمكن تلخيصها عدديا كالآتى :

١٤٠ مقطوعة شعرية

٥ قصائد طويلة

٣٧ مسرحية شعرية تتخللها بعض المواطن النثرية ..

ويقسم المؤرخون أعمال شكسبير المسرحية إلى ثلاثة أقسام حسب موضوعاتها .

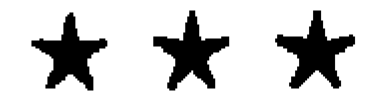
– مسرحيات هزلية .. ومنها ملهاة الأفكار ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة .

– مسرحيات تاريخية ... ومنها الملك هنرى الرابع ، الخامس ، الملك جون ..

– مسرحيات مأساوية .. ومنها يوليوس قيصر ، هاملت ، عطيل ، أنطونيو وكليوباترة والجدير بالذكر أن براعة شكسبير الفائقة فى تصوير الأحداث وتحليل العوامل النفسية لشخوص أبطال مسرحياته جعلت الكثير من المؤرخين والباحثين يتركون المسرحية نفسها لدراسة بعض التفاصيل التى تبدو بعيدة عن الموضوع نفسه ، فمثلا .. متى كتبت هذه المسرحية ؟ .. ومن من الأدباء الذين تأثر بهم شكسبير عند كتابته للمسرحية ؟

بل أن دراسات أدبية ذات قيمة عاليه جيدا كانت تجرى على بعض أبطال رواياته أمثال شايلوك التاجر اليهودى فى مسرحيته (تاجر البندقية) وعطيل القائد المغربى الأسود فى المسرحية المعروفة بنفس الأسم و ...

وهكذا كان وليام شكسبير أسطورة حقيقية للأدب فى كل زمان ومكان .



الشخصيات الرئيسية

تيسيوس : دوق أثينا .

إيجيو س : والد هرميا وسيد من سادة أثينا .

ليساندر :

شابان وجيهان من أثينا .

ديمتريوس :

كوينس : نجار .

بوتوم : نساج .

فلون : مصلح منافيخ .

سناوت : صانع صفيح .

ستارفلنج : خياط .

هيبو ليتا : أميرة الأمازون وخطيبة تيسيوس .

هرميا : ابنة إيجيوس وتحب ليساندر .

هيلينا : حبيبة ديمتريوس .

أوبيرون : ملك الجان .

تيتانيا : ملكة الجان .

بـك :
زهر البسلة :
نسيج العنكبوت : — من الجان .
فراشة :
حب الخردل :

تدور أحداث هذه الراوية فى مدينة أثينا والغابة القريبة منها .

★ ★ ★

الفصل الأول

فى قاعة العرش بالقصر الملكى كان تيسيوس دوق أثنيا يجالس محبوبته هيبوليتا أميرة الأمازون فقد اقترب موعد زفافهما ، وهما الآن يناقشان تفاصيل الاحتفال الذى سيعم أثينا كلها ..

قال تيسيوس وهو يمسك بيد خطيبته :

– أربعة أيام هى كل ما تبقى حتى يجمعنا الزواج سويا فلا يفرقنا إلا الموت الذى أتمنى أن يمهلنا وقتا كافياً أنهل فيه من شهد حبك ما يكفينى حتى بعد أن يوارى جثمانى تحت التراب ، أربعة أيام وتصبحين ملكى للأبد ، لكن ما بال الأيام تسير بطيئة سير العجوز الذى لا يتحرك تقريبا !؟

وبصوتها العذب الرخيم وبإشارات عينيها الجميلتين أجابته :

– لا تلبث الأيام الأربعة أن تنقضى ، ليبدو الهلال بعدها كقوس فضى مشدود على صفحة السماء ليشهد ليلة زفافنا ..

أضاف تيسيوس : نعم .. الليلة التى سأجعلها أكثر أيام أثينا فرحة وأبهجها زينة .. ستكون ليلة لا مكان فيها للحزانى مقطبى الوجوه ،

بل هى ليلة السعداء .. ليحضرها كل السعداء .. أما أصحاب الوجوه الشاحبة فليبحثوا لهم عن جنازة أو مصاب فادح يناسب طبيعتهم الكئيبة وقلوبهم البالية لقد فزت بخطبتك بقوة سيفى ، ولكن زواجنا سيكون بقوة الحب ..

وطال الحديث بالعاشقين السعيدين حتى استأذنت هيبوليتا فى الذهاب لقضاء بعض شئونها المتعلقة بذلك الزواج القريب ..

وبقى تيسيوس وحده لفترة قصيرة أتى بعدها الحاجب ليعلن قدوم إيجيوس الشريف اليونانى وبصحبته ابنته هرميا والوجيهان ليساندر وديمتريوس ..

ودخل الجمع إلى القاعة ، وانحنوا أمام الدوق فى أدب .. ثم تقدم إيجيوس خطوات من الدوق الجالس على عرشه قائلا :

– أمد الله فى عمرك يا أميرنا ذائع الصيت .. إن لى عندك حاجة .. بل شكاية ..

سأله تيسيوس : وممن تشكو ؟..

أشار إيجيوس إلى ابنته هرميا قائلا :

– من ابنتى يا مولاى .. يحزننى قول هذا ولكنها مبعث قلقى بأفعالها التى لا ترضينى ..

قال تيسيوس : وماذا فعلت ؟..

استطرد إيجيوس وهو يدفع ديمتريوس أمامه :

– هذا النبيل تقدم لخطبتها وإننى أوافق عليه وأرى فيه زوجا مناسبا ..ولكنها .. ثم أشار إلى ليساندر وأضاف :

– ولكنها تعشق هذا الشاب ولا ترضى عنه بديلا ..

ثم وجه إيجيوس حديثه إلى ليساندر :

– نعم .. يا ليساندر أنت الذى سلبت عقلها بأشعارك التى كنت تصبها فى أذنها وملكت قلبها بغنائك الذى أطلقته تحت نافذتها فى الليالى القمرية .. فابنتى صغيرة استهوتها أساليبك وخدعتها ألاعيبك هذا بالإضافة إلى هداياك الصغيرة التى كنت تقدمها إليها بين الحين والآخر حتى تحكم شراكه ..

قال ليساندر : أنا لم أخدعها لأننى ببساطة أحبها ..

صاح إيجيوس : لا .. أنت خدعتها .. جعلتها تخرج عن طاعتى .

ثم تحول إلى تيسيوس قائلا :

– وقد جئت يا مولاى لأستأذنك .. فإذا هى لم توافق أمامك على الزواج بديمتريوس الذى اخترته لها فسأستعمل حقى الذى يعطيه لى القانون الأثينى وأسلبها حياتها .. هذه هى شريعتنا ..

هز تيسيوس رأسه موافقا الآب الغاضب فى كل ما يقوله .. ثم سأل هرميا :

– وماذا تقولين يا هرميا ؟.. اعلمي أيها الحسناء أن أباك بالنسبة إليك في مقام الإله لذا لابد من طاعته ثم إني أجد ديمتريوس شخصا جديرا بك ..

أجابت هرميا بصوت خافت : وكذلك ليساندر ..

فقال لتيسيوس : أوافقك على أن السيد ليساندر شخص لائق ولكن إرادة والدك يجب أن تحترم وهي التي تزكي ديمتريوس ..

قالت هرميا بأسى : كنت أود أن ينظر إليه أبي بعيني ..

فأجابها تيسيوس : بل يجب أن تنظري أنت بعينيك ببصيرة والدك عليك إذن الزواج بديمتريوس ..

هرميا : وإذا رفضت !؟..

تيسيوس : إما أن يكون نصيبك الموت أو تمتنعي للأبد عن عشرة الرجال .. ففكري جيدا في قرارك .. هل بمقدورك أن تبقى للأبد في ثوب الراهبة ؟ هل بمقدورك أن تلزمي الدير إلى نهاية العمر ؟ هل تستطيعين التغلب على طبيعتك ؟ إن الوردة التي يقتطفها الناس أكثر سعادة من تلك التي تموت وتذبل وسط الأشواك ..

قالت هرميا بأصرار : سأقبل أن أموت وأذبل وأنا عذراء ، ولن أرضى بالسيد ديمتريوس ما حييت ..

صاح إيجيوس : أرأيت يا مولاي ؟! كم هي عنيدة .. بل كيف

استولى هذا السيد على عقلها فأصبحت تفضل الموت عن البعد عنه !؟..

قال تيسيوس بحزم : اسمعي يا هرميا .. سأعطى لك فرصة للتفكير فإذا أهل الهلال الجديد وهو يوم زفافى على حبيبتى فعليك إما الأستعداد للموت أو الزواج بديمتريوس .. أو تلتحقى بالدير ..

تقدم ديمتريوس من هرميا قائلا :

– استجيبى يا هرميا الرقيقة فحياتك فى خطر بهذا الإصرار ..

ثم تحول إلى ليساندر .. وأنت ياليساندر لا تجعل طيشك سببا فى إيذائها

فأجابه ليساندر : إنك تنعم بحب أبيها ياديمتريوس فدع لى حب هرميا ! ولتتزوج أنت منه فالمحبون يتزوجون ..

صاح إيجيوس : إنه ينعم بحبى حقا وأنا حر فى أن أعطيه ما أملك وهرميا ملكى وإنى أهبها لديمتريوس ..

فقال ليساندر : إنى يا مولاى لا أقل عنه حسبا ولا مالا ،وحبى أكبر من حبه .. فأنا متعادل مع ديمتريوس وربما فاقت ثروتى ثروته ثم لا تنس أن هرميا تحبنى وحبها لى يطعينى الحق فى المطالبة بها ..

قاطعه ديمتريوس : وأنا أيضا أحبها ..

نظر إليه ليساندر باستخفاف ثم قال هازئا : وتحب هيلينا أيضا أليس كذلك ؟..

ثم وجه حديثه للدوق قائلا : أن هيلينا تعشقه بل تكاد تعبده مع إننى لا أرى فيه ما يجعل أى فتاة تبادله الحب ..

فقال الدوق : خلاصة القول أن الأمر كله فى يد هرميا الحسناء ، إما أن تطيع أباها وتتزوج ديمتريوس أو تسلم نفسها للقانون الأثينى الذى لا يمكننا التدخل فيه .. اختارى يا هرميا بين الزواج أو الموت ..

ثم هب واقفا وأشار إلى إيجيوس وديمتريوس قائلا :

– تعاليا معى .. فإننى أريد أن أكلفكما بأمر ما ..

ثم خرج وتبعه الاثنان .. وبقى ليساندر وحده مع هرميا ..

كانت هرميا تبدو مكتئبة حزينة وقد وضعها قول الملك فى مأزق حقيقى ..وحاول ليساندر التخفيف عنها قائلا ..

ماذا بك أيتها الحبيبة ؟ لماذا أرى خديك ممتقعين . .كيف يذبل ورد خديك بهذه السرعة ؟.

أجابته هرميا باكية : وهل تعتقد أننى يجب أن أبدو سعيدة ؟..

فقال ليساندر : اسمعى يا هرميا .. لقد قرأت الكثير من قصص الحب وطالعت حكايات التاريخ وعرفت أن الطريق أمام الحب

الصحيح لا يمكن أبدا أن يكون ممهدا .. مثلا قد يكون هناك عدم تكافؤ بين المحبين .

فقالت هرميا · يا للعذاب حين يعشق الرفيع الوضيع ..

واستطرد ليساندر : أو أن يكون بينهما تفاوت فى السن ..

هرميا : يا للتعاسة ..

وأضاف ليساندر : أو يعترض الأهل وهو ما ينطبق على حالتنا ..

هرميا : نعم وياله من عائق متين ..

فقال ليساندر : أصغى إلى جيدا يا هرميا .. إن لى عمة عجوزاً واسعة الثراء وليس لها ولد ولذلك فهى تعاملنى كما لو كنت ابنها الوحيد وهى تسكن بعيدا عن أثنيا ..

قاطعته هرميا : هل سنتحدث عن مأزقنا أم عن عمتك الرحيمة ؟..

فقال ليساندر : حاولى أن تفهمى مقصدى .. فما دمنا قد بعدنا عن أثينا أصبح القانون الأثينى لاينطبق علينا ، وقد فكرت فى أن أعقد زواجنا رغم معارضة والدك .. فما عليك إلا أن تتسللى من منزل والدك فى مساء الغد وتقابلينى فى الغابة حيث قابلتك مرة مع هيلينا هل تذكرين ذلك ؟..

فأجابت هرميا وهى تفكر : نعم .. أعرف هذا المكان ..

عاد ليساندر يقول : سأكون فى انتظارك .. هذا هو الحل الوحيد لمشكلتنا فما رأيك ؟..

صمتت هرميا لفترة كانت تفكر فيها فى ذلك الحل الذى اقترحه ليساندر لتوه .. والذى كان يبدو أنه الوسيلة الوحيدة للإفلات من المصير الذى ينتظرها ، ثم قالت :

– أواه ياعزيزى ليساندر .. فى خطتك الخلاص بالرغم من مرارتها .

ليساندر : هل تقسمين بأنك ستحضرين فى الميعاد والمكان المضروبين ؟.

فقالت هرميا بحرارة : أقسم بحق أقوى قوس من أقواس كيوبيد إله الحب ، وبحق الرباط الذى يجمع بيننا .. رباط الحب المقدس أنى لابد آتية ..

تناول ليساندر يدها ، وطبع قبلة رقيقة عليها وهو يقول :

– والآن .. أستودعك الله إلى لقاء قريب ما بعده فراق .

ثم غادر القاعة وهرميا ترميه بنظرات تفيض بالحب والغرام ..

خرجت هرميا من القصر عائدة إلى دارها حيث كان عليها أن تعد العدة لتنفيذ الخطة التى ستجمعها بحبيبها إلى الأبد والتى بها وحدها ستنقذ حياتها .. كانت تسير هائمة تحلم بالأيام السعيدة التى ستبدأ

مساء الغد حيث سيجمعها الزواج بمن تهواه وتعشقه .. وليسامحها الله ، وليغفر أبوها المحب لها فعلتها التى ولا شك ستحزنه وتسبب له الألم الشديد وربما العار والخزى بين أقرانه من سادة أثينا المحافظين ..

وبينما هى فى سيرها وشرودها .. إذ بها تقابل صديقتها القديمة هيلينا فصاحت بها :

– سلاما يا هيلينا الحسناء .. إلى أين أنت ذاهبة ؟.

فأجابتها هيلينا بحسد : أتصفينني بالحسناء ؟ هل تهزئين منى ؟.. هل تسخرين !؟ ..

قالت هرميا بدهشة وقد أذهلها جواب هيلينا صديقتها :

– ولماذا أسخر منك ؟.

فقالت هيلينا متحسرة :

– ألا تعلمين حقا ؟.. إذا كنت حسناء كما تقولين .. فماذا تكونين أنت ؟.. إذا كنت حسناء فلماذا يهرب ديمتريوس منى إليك ؟..

هرميا : ولكننى لا أحب ديمتريوس ؟..

هيلينا : ولكنه للأسف يحبك ولا يلتفت لى . ليت لى ملامحك التى يعشقها ديمتريوس ، وليت لى مثل لسانك العذب الذى يستهوى ديمتريوس كلامه .. إننى مستعدة للتنازل عن ملك الأرض فى مقابل

ديمتريوس . حبيبى الذى لا يعيرنى أدنى اهتمام ..

قالت هرميا مشفقه : ولكننى أعبس فى وجهه ومع ذلك يحبنى كما يقول !!.

هيلينا : وأنا دائمة الابتسام فى وجهه ولا ألقى منه ذرة حب .. أو عطف !.

هرميا : وأسىء إليه كثيرا ومع ذلك لا يغضب ..

هيلينا : وهو يسيىء إلىّ دائما .. ومع ذلك لا أغضب ..

هرميا : وكلما أظهرت له كراهيتى أزداد فى ملاحقتى ..

هيلينا : وكلما أظهرت له حبى ازداد كرهاً لى ..

ثم أخذت هيلينا تبكى وهرميا تربت على ظهرها تواسيها وتخفف عنها قائلة ..

– ولكن ليس لى ذنب فى ذلك ..

فأجابتها هيلينا باكية : الذنب ذنب جمالك فلو كنت جميلة مثلك ما أبتعد عنى حبيبى ديمتريوس ..

قالت هرميا : ولكنك جميلة يا هيلينا .. وجمالك يلاحظه الجميع

هيلينا : هراء .. لو كنت فى جمالك ما عانيت تلك المعاناة الفظيعة إن دمامتى سبب شقائى وملامحى لاتقارب ملامحك فى حسنهما .. لذا اتركينى يا صاحبتى لأحزانى فقد كتب علىّ الشقاء إلى ما شاء

الله وسأظل شقيّة معذبة حتى يرق ديمتريوس لحالى ..

كانت هرميا حزينة لبكاء صاحبتها ، متفهمة لمشاعرها التى تدفعها دفعا إلى حب ذلك الذى لا يأبه بهـا .. وهذا من طبع بعض النفوس ، فكم يتـهافت الناس على من لا يهـتمـون بهم ، وكم هم مـسـتـعدون للرضوخ لمشيئة هؤلاء الذين يظهرون لهم اللامبالاة ..

عادت هرمـيا تواسى هـيلينا بكلمات ظنتـها تطيب خـاطرها ولكن هيلينا كـانت فـى حالة يـرثى لهـا من الهم والغم مـمـا جعل هرمـيا تقول :

– اسمـعى يا هيلينا .. سـأبوح لك الآن بسر خطيـر أقسـمت على حفظـه لأن فى إفشائه نـهاية حيـاتى .. ولكنى سأقـوله الآن عل فى ذلك ما يريح قلبك ويقربك من حبيبـك ولكن عليك أولا التعهد بكتمان سرى

رفعت هيلينا رأسـها وقالت : أقسم لك ياهرمـيا أن يظل سرك فى قلبى إلى الأبد ..

قالت هرميا : لقد انتويت الفرار مع ليساندر خارج أثينا حيث نكون بعيدا عن قانونها الذى يمنع زواجنا مادام أبى لا يوافق عليه ..

هيلينا : ما أشجعك !..

هرميا : وسيكون لـقائى مع ليساندر فى الغابة مسـاء الغد لأبتعد عن أثينا التى كنت أراها جنة أنعم بالعـيش فيها ولكن مـاذا أفعل وقد

أحالها إصرار أبى وعناده جحيما لا أطيقه ..وهكذا يا هرميا سأبتعد عن ديمتريوس الذى يلاحقنى ..

قالت هيلينا : نعم .. إن صح قولك .. ونفذت ما عزمت عليه مع حبيبك ليساندر فسيخلو الجو لى .. وربما تمكنت من استعادة حبيبى الذى كان يبادلنى الحب حتى وقعت عليك عيناه .. ما أشد إخلاصك يا هرميا .. وما أطيب قلبك ..

هرميا : لا تنسى وعدك لى بحفظ سرى الكبير ، فحياتى الآن معلقة فى يديك فصونى سرى ..

أجابتها هيلينا بنظرة ماكرة :

– اطمئنى يا هرميا .. فسرك خلف شفتاى المطبقتين لا أبوح به ما حييت .. يا إلهى ما أجمل الحب .. وما أغرب التصرفات التى قد يأتيها المحبون فى سبيل هذا الحب !؟.. ألهذا يقولون إن الحب أعمى ؟.. وألهذا صوروا كيوبيد إله الحب ضرير لا يبصر .. يطلق سهامه الطائشة فتصيب من تصيب !؟ وينجو منها من ينجو ؟..

قالت هرميا هائمة : نعم .. يا هيلينا لقد أصابت سهامه قلبى كما أصابت قلب ليساندر وهكذا جمعنا الحب الذى سيكلل بزواجنا مساء غد ليتك يا هيلينا تصيبين مثل حظى .. وتقرين عينا بحبيبك ديمتريوس ..

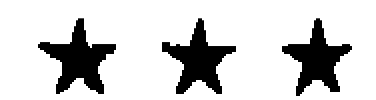
أجابتها هيلينا : وليسعد الله أيامك مع ليساندر يا صديقة الصبا

وليجعل حياتك معه مريحة هنيئة ..

تأبطت هرميا ذراع صاحبتها وقالت لها ضاحكة :

- الآن وقد ارتاح قلب كلانا . هيا بنا نعود أدراجنا إلى المدينة أصدقاءً كما كنا دائما لا يعكر صفو صداقتنا شيء ..

ثم سارا فى طريقهما يتمازحان وقد صفت قلوبهما واطمأن بالهما ..



كانت أثينا كلها فرحة بذلك الأعلان الذى بثه القصر الملكى بزواج الدوق تيسيوس من الأميرة الأمازونية هيبو ليتا ، يوم ظهور الهلال فى سماء المدينة ..

وكانت الزينات تعلق فى كل الطرقات وعلى كل البيوت والدور لتضفى على تلك المدينة الساحرة مزيدا من البهجة والجمال ..

وانعكس ذلك على جميع الأهالى الذين كانوا يرحون ويغدون فى حركة دائبة مشاركين فى تلك التجهيزات حبا فى حاكمهم وطمعا فى مكافأة قد تعود عليهم من جراء مشاركتهم المخلصة تلك ..

كان الشعراء يلقون أشعارهم فى جموع متفرقة من الناس .. وكانت أبياتها تتحدث عن هذا الزواج والسعادة التى تنتظر الزوجين ..

وكان الخطباء يخطبون فى الناس فى المناسبة نفسها .

وفى أحد المنازل المتواضعة بأحد أزقة أثينا الضيقة .. كان مجموعة من الناس يعدون لمشاركة من نوع آخر فى حفل الزفاف المرتقب .. كان المجتمعون ستة رجال من أصحاب الحرف المتواضعة ذوى الأيدى الخشنة وقد قرروا فيما بينهم الإعداد لمسرحية يمثلونها أمام الدوق وعروسه ، وبالرغم من عدم لياقتهم لمثل هذا العمل الذى يتطلب حسا رفيعا وذوقا خالصا ، إلا أنهم كانوا مصرين على أن تأتى مشاركتهم على هذه الصورة البعيدة تماما عن مؤهلاتهم

الشخصية ..

كانوا على التوالى : كوينس النجار صاحب المنزل ، وسنج الإسكافى ، وبوتوم النساج ، وفلوت صانع المنافيخ ، وسناوت الحداد ثم ستار فلنج الخياط ..

كان كوينس يقوم بدور المخرج وكان يمسك سجلا فى يديه متضمنا نص المسرحية المزمع تمثيلها بالإضافة إلى قائمة الممثلين ودور كل منهم فى ذلك الحدث الفنى الفذ !..

خبط كوينس على المائدة الخشبية بقبضة يده قائلا :

- هل اكتملت الفرقة ؟..

أجابه بوتوم النساج نعم .. كلنا هنا ، ويحسن بك الآن أن تحدثنا مرة أخرى عن موضوع المسرحية ودور كل منا فيها ..

وضع كوينس السجل تحت إبطه ثم شرع يقول بجدية بالغة .

- إن مسرحيتنا هى أقسى مأساة عرفها التاريخ ، وتدور أحداثها حول قصة حب بين بيراموس وحبيبته تسبى والتى ستنتهى بفاجعة موتهما ..

فقال بوتوم مخاطباً الحاضرين ؛ أؤكد لكم أنها تمثيلية مرحة جدا .. هيا يا كوينس ، ناد على الأسماء ..وأنتم أيها السادة أجيبوا كلما سمعتم اسما ..

فتح كوينس سجله وأخذ ينادى بصوت عال :

- بوتوم النساج : رفع بوتوم يده : ها أنا ذا

فقال كوينس : ستقوم بدور بيراموس ..

فسأله بوتوم : ومن يكون بيراموس هذا ؟..

أجابه كوينس : هو عاشق محب يقتل نفسه فى شهامة فى سبيل حبه ..

وقف بوتوم وسط الحجرة .. وقال بافتخار :

- حسنا .. أعتقد أن هذا الدور سيتطلب ذرف الدموع .. فليحافظ الجمهور على رباطة جأشه فسيكون تمثيلى مقنعا إلى الدرجة التى تجعلهم يبكون بحرقة ، سأجعلهم يسقطون من مقاعدهم من فرط التأثر فإننى ممثل جيد قادر على تمثيل كل الأدوار .. سواء كان دور المحب رقيق القلب أم دور الطاغية المتحجر العواطف ..

ثم أعاد بوتوم إلى مقعده فى هدوء وثقة وكأنه أتى أمر عظيما ..

عاد كوينس ينادى : فلوت مصلح المنافيخ ..

وقف فلوت قائلا : ها أنذا يا كوينس ..

قال كوينس : ستقوم أنت بتمثيل دور تسبى ..

سأله فلوت : ومن تسبى !؟ فارس جوال أم قاطع طريق ؟.

أجابه كوينس : تسبى هى السيدة التى يحبها بيراموس .

صاح فلوت معترضا : هل سأقوم بتمثيل دور سيدة ؟.. هل هذا يليق بى ؟.. ألا ترى لحيتى ؟.. ألا تلمح شاربى ؟.

هز كوينس رأسه لا يهم كل هذا ستمثل الدور وستحاول أن تكون مقنعا .. المهم أن يكون صوتك رفيعا كأصوات النساء ..

رفع بوتوم يده طالبا الحديث .. ثم وقف قائلا :

– هل من الممكن أن أمثل دور تسبى أيضا !؟.. ففى استطاعتى التكلم كالنساء ثم رفع صوته وأخذ يقول بصوت رفيع :

– أنا تسبى يا حبيبى بيراموس .. أنا حبيبتك يا عزيزى ..

صاح كوينس : لا .. لا .. ستقوم أنت بدورك يابوتوم دور بيراموس ، أما تسبى فسيمثلها فلوت ثم أضاف مناديا : ستار فلنج الخياط ..

وقف ستار فلنج قائلا : أنا هنا ..

قال كوينس : ستكون أنت أم تسبى ..

ستار فلنج : موافق ..

كوينس : سناوت الحداد .. أنت والد بيراموس وسأكون أنا والد تسبى ..

قال ستارفلنج : زوجى !!؟.

كوينس : نعم .. أما أنت ياسنج فستقوم بدور الأسد ..

قال سنج : الأسد !!.. أعتقد أنه دور صعب ، إذا كنت قد كتبته فأنا أريد حفظه جيدا ..

أجابه كوينس : لا يحتاج دورك للحفظ ، فما عليك إلا أن تزأر ..

سنج : أزأر فقط ..

وقف بوتوم قائلا : دعنى أقوم أنا بدور الأسد .. وسأزأر زئيراً يشرح القلوب ..

فقال كوينس : لا نريده زئيرا مخيفا كى لا تخاف الدوقة والسيدات فقد يصحن فزعا وهذا كفيل بشنقنا ..

عاد بوتوم يقول : إذن سأزأر كاليمامة .. أو كالبلابل سأجعل زئيرى محببا رقيقا كى لا تفزع النساء ، وكى يكافئنا الدوق ..

كوينس : لا .. ستكون الأدوار كما وزعتها بالضبط والآن هيا نتدرب على أدوارنا كى لا يسخر أحد منا لابد أن يكون أداؤنا جيدا وألا نالنا الشر من الجميع ..

ثم جلسوا يتناقشون فى تفاصيل تمثيليتهم الغريبة وما يلزمها من أثاث وتجهيزات .. ثم أنهى كوينس هذا الاجتماع بقوله :

– سيكون موعدنا القادم عند الغابة كى نضع التصور النهائى للمسرحية .. أرجو ألا تتخلفوا . ولتأتوا جميعا مهما كانت الظروف ..

الفصل الثانى

فى الغـابة القريبـة من القصـر ، والتى سـتشـهد لقـاء ليسـاندر بمحبوبته هرميا ، والتى ستشهد أيضـا لقاء الفرقة المسرحية العجيبة .. كان بكك أو " روبين الـطيب " ، الجنى الظريف يتحـدث إلى جنية أخرى قائلا :

– تحية أيتها الجنية الرقيقة .. ماذا جاء بك هنا ؟..

أجابته الجنيـة : تحية لك يابكك أيها الجنى الظريـف .. ماجئت هنا إلا لأعد العـدة لحضـور الملكة تيتـانيا ملكة الجـان إلى هنا .. على أن أبحث عن قطرات الـندى لأضـعهـا علـى كل زهرة هنا بحـيث تبـدو كالؤلؤة تتدلى من أذنها ..

قال بك متخـوفا ولكن أوبيرون ملك الجان زوجها سـيحضر هنا فى نفس المكان ..

قالت الجنية : إذن لا تجـعله يرى الملكة .. فإنهما متخـاصمان فإذا أبصر أحدهما الآخر حدث مالا يحمد عقباه ..

سألها بك : وما هو سبب خصامهما ؟.

قالت الجنية : لقد اتخذت سيدتى من أتباعها صبيا إنسيا صغيرا سرقته من أحد ملوك الهند ، وهى مغرمة به وتحبه بقوة ، فلما رآه الملك معها حسدها عليه وطلب ضمه إلى حاشيته ليكون أحد فرسانه ، ولكن الملكة رفضت التفريط فى هذا الصبى الجميل وهكذا نشب الخلاف بينهما فلا يلتقيان فى مكان إلا وقام العراك بينهما ، فتجد العفاريت تهرب من الخوف ويختبئون فى جذوع الأشجار أو خلف التباب من حدة عراكهما ..

قال بك : على سيدتك أن تتنازل عنه لسيدى ..

صاحت الجنية : أيها الجنى الخبيث .. إن كلامك هذا يزعجنى فأنا أظنك تعد مكيدة لسيدتى كما تفعل مع بنات وأبناء البشر ..

ألست أنت الذى يخيف البنات القرويات !؟ ألست أنت الذى ينتزع القشدة من اللبن فيتساءلن أين ذهبت ؟.. ألست أنت من يدير الطواحين فجأة ؟.

ضحك الجنى الظريف قائلا :

– نعم .. أنا من يفعل كل هذا .. فأنا مضحك أوبيرون ملك الجان والقادر وحدى على أن أجعله يبتسم .. هل سمعت عما فعلته مع حصان سمين كان يأكل الفول ؟.

سألته الجنية : ماذا فعلت ؟.

قال الجنى بفخر : صهلت كما تصهل المهرة فبعثر الجواد المسكين

طعامه وأدار رأسه هنا وهناك باحثا عني .. فلما لم يجدني عاد يأكل وعدت أصهل وهكذا حتى كاد الحصان المسكين أن يجن ..

قالت الجنيه : أنت جني مشاكس ..

استطرد بك : وهل عرفت ما أفعله دائما في حضرة سيدات القرية ..

سألته الجنية : ماذا ؟.

قال بك : لقد اتخذت يوما شكل حبة فاصوليا داخل أحد الأطباق فلما همت إحداهن بالأكل قفزت من الطبق فذعرت المسكينة ووقع كل الطعام على حجرها ، وفي مرة أخرى تشكلت في صورة مقعد ذي ثلاث أرجل فلما جلست فوقي إحدى العجائز تحركت فسقطت على مؤخرتها وأخذت تصيح ثم انقلب صياحها سعالا ، وصاحباتها يضحكن !!.

ضحكت الجنية وهي تتخيل العجوز التي يحكي عنها بك في هذا الموقف التي لا تحسد عليه ، فجأة توقفت عن الضحك وقالت برعب :

– انظر يا بك لقد أتت سيدتي تيتانيا ومعها حاشيتها ..

وقال بك بدوره : ومولاي أوبيرون أيضا لقد حضر مع بطانته من الجانب المقابل .. سيلتقيان لا محالة وتقابل الزوجان اللدودان وجها لوجه ، ورمق أوبيرون ملك الجان زوجته بنظرة غاضبة .. قابلتها تلك بعدم اكتراث .. قال أوبيرون بصوته الجهوري :

– بئس اللقاء فى ضوء القمر يا تيتانيا المتكبرة ..

أجابت تيتانيا باستخفاف : من ..؟.. أوبيرون الحسود !؟.

ثم التفتت إلى أتباعها وأضافت .

– هيا بنا من هنا أيها الجان فقد أقسمت على هجر هذا الزوج الحاقد وأبتعد عن فراشه وصحبته ..

فقال أوبيرون : مهلا أيتها المستهترة .. ألست زوجك ؟ أليس لى حق الطاعة عليك ؟.

أجابته تيتانيا : أنت زوجي نعم ..ولكن حقك فى الطاعة مسألة فيها نظر ..

تعجب أوبيرون وصاح : ولماذا ؟..

قالت تيتانيا بغضب : لماذا ..؟ ألا تعلم لماذا ؟ قل لى إذن ما الذى جعلك تأتى من جبال الهند الشامخة إلى هنا .. أليس وجود هيبوليتا الأمازونية هنا هو سبب مجيئك ؟.. أليست هى عشيقتك المقاتلة ؟.. ألم تحضر كى تبارك زواجها بتيسيوس ؟.. وتسبغ على فراشهما المتعة والراحة ؟..

صاح أوبيرون : ويحك يا مستهترة .. تشيرين إلى هيبوليتا .. حسنا وهل تنكرين بدورك حبك لتيسيوس زوجها المقترب !؟ ألم تعودى به يوما من عند بريجونا المسكينة بعد أن اغتصبها !؟.. ألم

تحرضـيه على نقض عـهده لآيجل الحسناء . ولأنتـونيا ولغـيرها وغيرها . ألم تخلصيه من مأزق تلو الآخر ؟

ضحكت الملكة بدلال ثم قالت : إنى أشّم رائحة الغيرة فى كلامك يا زوجى .. لا تنسى أنه من طبائعنا نحن معـشر الجن أن يبحث كل منا عـن إنسى يعجبه فيصبح قرينه ويساعده فى قضاء حاجاته ..

قال أوبيرون : الأولى أن تلبى حاجات زوجك ..

تيتانيا : وما هى حاجتك ؟..

أوبيرون : ذلك الغلام الهندى .. أنا أريده بشدة ..

هزت تيتانيا رأسها فى إصرار وقالت

– أرح قلبك من هذه الناحـيـة فلن أفـرط فى هـذا الغلام الجـميل أبدا !.

صاح بها أوبيرون : ولماذا ؟.. لماذا هذا الغلام بالذات ؟..

قالت تيتانيا : لقد كانت أمه الهندية من أتباعى ..وكنت أحبها كثيرا ولكنها ماتت وهى تلد غلامها هذا .. فمن أجل ذكراها أربى ابنها ومن أجلها لن افترق عنه .

نفخ أوبيرون فى ضجر : أف .. إلى متى ستبقين فى هذه الغابة ؟.

أجابته الملكة تيتانيا : إلى ما بعد يوم زواج تيسيوس .. والآن .. أنا

منصرفه إلى شئونى .. ولا مانع من أن تصحبنا بشرط أن تنسى موضوع الغلام الهندى ..

صاح أوبيرون : محال .. لن يهدأ بالى حتى يكون هذا الفتى من أتباعى .. حسنا .. تريدنها حربا إذن .. فلتكن الحرب .. تريدنها نارا .. فاستعدى لمواجهة مالا طاقة لك به ولا تنسى يا ملكة الجان أننى أيضا ملك الجان ..ومازالت قوتى وسطوتى أقوى من تحملك ..

فقالت تيتانيا : سنرى .. سنرى يا زوجى العزيز ..

ثم انصرفت هى وأتباعها .. وتوغلت بهم داخل الغابة ..

أما أوبيرون فقد مكث فى مكانه فترة يلتهم الغيظ قلبه ثم صاح بتابعه :

– بك .. بك .. تعالى إلى بسرعة أيها الأمين المطيع .

فلما أتاه بك قال أوبيرون :

– أتذكر يا بك ذلك اليوم الذى جلسنا فيه على صخرة كبيرة وسمعنا عروسا من عرائس البحر جالسة على ظهر درفيل صغير تغنى فى صوت جميل رقيق جعل البحر ساكنا بعد هياج ..

فقال بك : نعم .. أتذكر هذا اليوم جيدا يا سيدى ملك الجان ..

استطرد أوبيرون قائلا :

– فى هذا اليوم الذى كانت فيه الطبيعة من أجمل ما يكون نتيجة

غناء عذراء البحر رأيت كيوبيد إله الحب يطلق سهامه فى جدل وبصورة عشوائية ،وقد تتبعت أحد سهامه الذى سقط على زهرة غريبة .. زهرة ناصعة البياض كاللبن .. فلما أصابها السهم تحول لونها إلى الأحمر القانى ..

قال بك : مقاطعا : نعم .. نعم .. الجميع يعرف هذه الزهرة رغم ندرتها والناس يسمونها ..

" زهرة الحب المتعطل " ، لأن كيوبيد أطلق سهمه عليها ..

فقال أوبيرون : حسنا أيها الجنى العاقل .. أريد أن تأتينى بهذه الزهرة لأن عصارتها إذا وضعت على جفون نائم رجلا كان أو امرأة فإنه يهيم كالمجنون بحب أول مخلوق حى يراه .. أحضر لى هذه الزهرة بأسرع ما يمكنك ..

فقال بك : سأحضرها لك حتى لو كانت فى أقصى مكان فى الأرض سآتيك بها فى دقائق معدودة هى كل ما يلزمنى لأطوف أركان الدنيا ..

أوبيرون : حسنا .. انصرف الآن ..

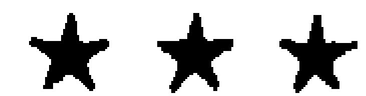
واختفى بك لتلبية رغبة سيده .. وبقى أوبيرون يحدث نفسه وهو يبتسم قائلا :

– سأقطر سائل زهرة الحب المتعطل فى عينى تيتانيا عندما تنام .. فإذا ما استيقظت من نومها فسوف تعشق أول من تراه .. سواء كان

أسـدا .. أم دبا أم ثورا والأفضل أن يكون نسـناسا مـعـربداً .. ولن أزيل هذا السحر من عينيهـا إلا عندما تسلمنى هذا الغلام .. سترى يا تيتانيا من الفائز فى هذه الحرب الضروس ؟..

وبينمـا هو كذلك إذ به يسمـع صوت خطوات تقتـرب من مكانه .. فأسرع يختفى عن الأنظار ثم عاد يقول لنفسه :

– ولماذا أختفى ؟.. إننى غير منظور لهم .. فلأسمع حديث القادمين وهم لا يروننى ..



بعض طبائع النفـس البشرية لا يمكن تفـسيرها .. إذ تأتى أحـيانا بسلوك غريب ونحن لا نعلم ما هو دافعنا إلى ذلك ؟..

ومن أمثلة ذلك ما فعلته هيلينا صديقة هرميا الصدوقة ..

فإنهـا لن تفش سرها الـكبير فـقط .. بل موضـع الغـرابه فى ذلك الشخص الذى نقلـت إليه هذا السر .. فـقد كان ديمتـريوس !! .. آخر شخص يكون فى مصلحة هيلينا نفسـها أن تنقل إليه سرا كهذا ..

ديمتريوس الذى طالما تباعـد عن هيلينا وطالما نفر منها .. هو الآن على علم بخطة هرميـا فى الهروب مع حبيـبها ليساندر .. فـقد نقلت إليه هيلينا الســر الذى ائتمنتها صـديقتها عليـه .. وها هو ديمتريوس يبحث عن الفتاة الهاربة ..

قال ديمتريوس لهـيلينا : أين هرميا ؟.. أين ليسـاندر ؟ .. لقد قلت إنهما سيكونان فى هذه الغابة .. أين هما إذن ؟..

أجابته هيلينا : سنـجدهما .. سنـجدهما ..

أستطرد ديمتريوس : إذا عثرنا عليـهما فـسيتكفل كل واحـد بقتل واحد منهما ..

هيلينا : نعم يا سيدى ..

ديمتريوس : هيـا إذن .. جدّى فى البحث عنهمـا فأنا لا أعثر لهـما على أثر ..

ثم أخذ يشق طريقـه فى الغابة وهيلينا من خلفـه فأستـدار وقال غاضـبا :

– قلت لك لا تتبعينى .. تبا لك يافتاة .. أنا لا أحبك ..

أجابته هيـلينا بشـغف : وما ذنبى وأنت تجتـذبنى جذب المغناطيس لذلك أجد نفسى أتبعك بلا إرادة ..

قال ديمتريوس : ماذا أفعل كى تفهمى مـشاعرى نحوك ؟ سـأقولها لك فى صراحـة وفى وضوح إنى لا أحبك ،وليس فى اسـتطاعتى أن أحبك .

ولكن هيلينا أجـابته : حتى هذا التـصريح يزيدنى حبـا فيك .. إنى أشبه بكلب صـغير تمتلكه فافعل بى ما تشاء ..

قال ديمتريوس : إن تفسى لتعاف رؤيتك حتى إننى أمرض إذ رأيتك .

فأجابته هيلينا : وأنا أمرض إذا لم أرك ..

خبط ديمتريوس جبهته بيده : أيتها البلهاء .. ألا تخافين على نفسك ؟.. أنت الآن فى الغابة وحدك مع شخص غريب والظلام يلف الأنحاء ..

قاطعته هيلينا : أنا لن أكون وحيدة وأنا معك .. ثم إنى لا أخاف على نفسى منك ..وكل ما تفعله بى يرضينى ..

صاح ديمتريوس : سأفر منك وأختبئ فى الأدغال وأتركك فى رحمة الوحوش الضارية .

ولكن هيلينا أجابته : إن أشد الوحوش ضراوة ليست أقسى منك قلبا لقد تبدلت الأحوال فى الغابة هنا بوجودنا معا .. فلا عجب إن رأيت غزالا يطارد نمرا .. أو يمامة تتبع نسرا ..

فقال ديمتريوس وهو يجرى مبتعدا :

– سأهرب منك ، وإن تبعتينى فسأصيبك بسوء فى هذه الغابة الموحشة .

ولكنها أسرعت تعدو وراءه فى تصميم وهى تقول :

– سأتبعك .. وسأخالف كل القواعد والنواميس التى تقول إن

الرجـل هو الذى يطـارد المرأة . وإن الرجل هـو الذى يخطـب المرأة ..
سـأتبعك حتى إلى الجحيم .. حتى لو كانت نهايتى على يديك .

واختفيا فى أحراش الغابة ، وعاد أوبيرون فى الظهور قائلا :

- يالعجب ما رأيت وما سمعت .. كم أشفق على هذه المرأة الأثينية التى لا يأبه حبيـبها بها .. ولكننى سـأبدل الحال .. وأجعله هو الذى يلهث وراء حبها ورضاها ..

وفى هذه اللحظة أتى بك حـاملا فى يده (زهرة الحب المتـعطل) وقدمها إلى مولاه فى أدب فتناولها منه أوبيرون شاكرا ثم قال له

- الآن .. سـأبحث عن تيـتـانيـا .. وأنتظرهـا حـتى تنام ثم أضع عصارة هذه الزهرة على عينيها ..

ثم أضاف :

- وسأكلفك بمهمة أخرى يا بك .. خذ جزءًا من هذه الزهرة وابحث عن حسناء أثينية تحب فتى لا يبالى بحبها .. ضع فى عينيه العصارة واحرص عـلى أن تفعل ذلك حين يكون من المؤكـد أن هذه الفتـاة هى أول من تراه عند اسـتيـقـاظه وسـتـعرف على هذا الـفتى بملابسـه الأثينية . هل فهمت مهتمك يابك ؟.

فأجابه الجنى الظريف وهو يتناول الجزء من الزهرة :

- نعم يا سيدى .. سينفذ خادمك أمرك ..

فقال أوبيرون : حسنا .. ولنتقابل هنا قبل صياح الديك ..

بك : أمرك يامولاى ..

★ ★ ★

فى جزء بعيد من الغابة كانت تيتانيا ملكة الجان تستعد للنوم وقد أخذت فى إصدار أوامرها المعتادة قبل النوم على أسماع أتباعها ..

– هيا ارقصن وأنشدن .. وليقتل بعضكن الحشرات .. ولتقاتل الأخريات الخفافيش ولتطردن البوم الذى يزعجنى نعيقه فيطرد النوم عن عينى ..

وأسرع الجميع لينفذ أوامر الملكة .. بينما أخذت فرقة من الأتباع تغنى حولها وترقص ..

اذهبى أيتها الحيات المسممة ذات اللسانين

وأنت أيتها القنافذ ذات الأشواك الحادة .

فمليكتنا تستعد للنوم فلا تزعجيها .. أنت بلسانك وأنت بأشواكك أيتها العناكب أبتعدى .

ويا أيتها الخنافس لا تقتربى .

فمليكتنا تستعد للنوم فلا تزعجيها أنت بأرجلك الطويلة وأنت بدبيبك المزعج .

ومازلن ينشدون ويرقصن حتى راحت الملكة فى سبات عميق ..

وكان أوبيرون يرقب هذا وفى يده الزهرة السحرية .. فلما تأكد من نوم زوجته .. اقترب منها فى هدوء ثم عصر الزهرة فى جفونها وهو يقول :

– فليكن حبيبك هو أول ما ترين عندما تستيقظين .. وليكن حبيبك هذا فهدا أو دبا فليكن نمرا أو خنزيرا بريا أشعث .. فليكن أول من تطالعه عيناك بعد استيقاظك أقبح مخلوقات الأرض وأكثرها دمامة ..

★ ★ ★

فى موضع آخر من تلك الغابة التي تشهد كل هذه الأحداث .. كان ليساندر وحبيبته هرميا يسيران إلى وجهتهما البعيدة حيث يقصدان منزل العمة الثرية التى سيتزوجان عندها بعيدا عن القانون الأثينى الظالم ..ولما كانا قد سارا كثيرا .. فقد بدأ التعب يدب فى أوصالهما .وكان لابد لهما من الراحة حتى يتمكنا من مواصلة رحلة الهروب ..

قال ليساندر وهو يقف مستطلعا ما حوله وسط الظلام الدامس :

– يجب أن نستريح يا هرميا .. فالظلام والتعب يحولان دون مواصلة رحلتنا .. وأخاف أن نضل طريقنا فى الظلام ..

فأجابته هرميا : ليكن ذلك يا ليساندر .. أعد لكل منا فراشا منفصلاً لننام حتى يظهر الصباح .

فقال ليساندر سيكون لنا فراش واحد كما أن لنا قلبا واحداً وعهداً واحداً ..

اعترضت هرميا قائلة : أنا لا أخاف منك .. ولكن دواعى الحياء واللياقة تجعل الانفصال جديراً بالأعزب والفتاة ..

أجابها ليساندر : سأنفذ رغبتك يا هرميا ..

ثم أخذ يسوى الأرض الرطبة .. وهيأ لها موضعا للنوم .. ثم بعيدا عنها بخطوات أعد لنفسه فراشا آخر .. واستلقيا .. كل منهما فى فراشه وكان من مرقدهما يتحادثان ويتناجيان حتى أتاهما النوم سريعا

★ ★ ★

كان بك الجنى الطيب يطوف أرجاء الغابة وهو يقول :

أين هذه الأثينية التى قال عنها أوبيرون ؟.. وأين هو الأثينى .. لقد استطلعت كل مكان فى الغابة ولا أجد لهما أثرا ..

ثم أخذ يتلفت يمينا ويسارا وأضاف :

– لا أرى حولى سوى الليل والسكون .. ولا ألاحظ غير الأشجار والحشائش ..و ..

ثم قطع كلامه وحدق فى بقعة من الأرض .. ثم قال :

- ولكن مـاذا أرى .. فتى نائمـاً !؟ .. لابد أنه هو الأثينى المقـصود ..وهو نفسه الذى قال عنه مولاى إنه يحتقر فتاته ..

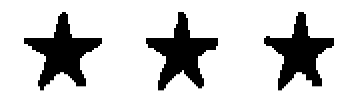
ثم حانت منه ألتفاتة فوجد هرميا نائمة بالقرب منه .. فصاح :

- وهذه هى الفتـاة المقصودة .. يالجـفاؤه .. إنه حتى لا يشاركـها الفراش ويتباعد عنها حتى فى النوم ..

ثم اقترب من ليساندر النائم ..وأسقط على جفنيه بضع قطرات من عصير الزهرة المسحورة وهو يقول :

- سيحول ماء هذه الزهرة قلبك إلى جمرة مشتعلة .. وستهيم حبا بتلك الفتاة الراقدة بالقرب منك لتتحـقق مشيئة أوبيرون ..والآن أعود إلى سيدى لأنقل إليه خبر انتهاء مهمتى ..

واختفى بك فى لمح البصر ..



مازالت هيلينا تـعدو وراء ديمتريوس الذى كـان يحاول الفكاك من مطاردتها له وصاحت به مستعطفة :

- قف يا ديمتريوس .. فإنك تكاد أن تقضى على ..

ولكن ديمتريوس لم يتوقف بل واصل فراره قائلا :

- لن أتوقف حـتى تكفى عن إزعـاجى على هذا النحـو السخـيف

..اذهبى يا هيلينا بعيدا عنى ..

فقالت هيلينا : أتريد أن تتركنى وحدى فى الظلام ؟ لقد أنهكنى التعب ..

ديمتريوس : إذن ابقى هنا .. وسأذهب أنا للبحث عن ليساندر وعشيقته .

توقفت هيلينا وهى تلهث .. بينما اختفى ديمتريوس وراء أشجار الغابة الكثيفة ، ووقفت وحدها فى هذا المكان الموحش ترثى نفسها وتناجيها قائلة :

– لقد تقطعت أنفاسى من هذه المطاردة الجنونية .. وعبثا أحاول استمالة قلب حبيبى ديمتريوس فهو بلا قلب لا يعرف الشفقة أو الرحمة سأسير على غير هدى حتى إذا ضللت الطريق ، أو افترسنى وحش من وحوش الغابة .. ذهبت شهيدة حبى الذى هو من طرف واحد ..

ثم أخذت تسير بلا هدف وسط الظلام الساكن وهى تفكر فى حبيبها ديمتريوس ، وفى النعيم الذى ينتظر لهرميا مع ليساندر اللذين تقابلا على الأرجح وأبتعدا عن أثينا ليتزوجا ..

وبينما هى فى سيرها العشوائى إذ تلمح شخصا يغط فى نومه .. فاقتربت منه بخطى حذره .. فإذا به ليساندر .. فصاحت فى دهشة :

- ليساندر !؟.. من أتى به إلى هنا ؟.. وأين هرميا ..؟ هل هو نائم

أم ميت ؟ .. وانحنت تلاحظه ثم قالت :

- لا أرى دما ولا جرحا .. فهو نائم بلاشك ترى ما سر وجوده هنا بعيدا عن حبيبته ..؟ هل فشلت خطتهما ؟..

ولم تنتبه فى حيرتها إلى هرميا التى كانت نائمة عن قرب .. ربما حال الظلام دون رؤيتها وربما كانت دهشتها لرؤيته المفاجئة قد أعمت عينيها عن ملاحظتها ..

.. وفى تلك اللحظة استيقظ ليساندر وكان أول من وقعت عليه عيناه وجه هيلينا المنحنية فوقه ..

قالت هيلينا : ماذا أصابك يا ليساندر ؟ وماسر نومك فى هذا المكان الموحش ؟..

استوى ليساندر واقفا وقال وهو يتأملها :

– هيلينا .. حبيبتى .. ما أجملك ،وما أبدع قوامك ، وما أكثر المحاسن التى وهبتك إياها الطبيعة ..

ثم تلفت حوله وكأنه يبحث عن شخص ما .. ثم قال :

– أين ديمتريوس ؟.. هذا الأسم الكريه لشخص كريه أتمنى أن أمحو وجوده من هذه الدنيا ..

فقالت هيلينا : لا تقل مثل هذا الكلام يا ليساندر ..لماذا تكرهه إلى هذا الحد ؟.. ألا يكفيك حب هرميا لك !.. إنها غير عابئة به وأنت تعرف هذا جيدا ..

صاح ليساندر فى غضب : هرميا !!.. إنى فى شدة الأسف على الأوقات المملة التى قضيتها بصحبتها .. ليست هرميا من أحبها ، بل أنت يا هيلينا .. آن الآوان كى أستبدل الغراب بحمامة وديعة .. الدودة بفراشة .. لقد نضج عقلى وازددت حكمة وها أنا أقول بكامل إرادتى إننى أحبك .. أحبك أنت وحدك يا هيلينا ..

لم تصدق هيلينا ما تسمعه فقالت :

– كفاك تهكما على يا ليساندر !؟.. هل كتب على أن يسخر منى الجميع حتى أنت يا ليساندر ؟.. أنا التى لا حول لها ولا قوة بينكم لا أستحق هذا الاستهزاء منك ألا يكفينى جفاء ديمتريوس وتباعده عنى ؟ لم أعد أحتمل هذا فهو فوق طاقتى ثم أسرعت تعدو فى الغابة باكية ؟ ..

بقى ليساندر وحده ثم مشى خطوات حيث كانت هرميا ماتزال نائمة فلما أبصرها فى نومها العميق قال موجها خطابه إليه :

– لتظلى نائمة يا هرميا إلى أبد الآبدين وإن صحوت فكم أتمنى ألا أراك على مقربة منى بعد ذلك ؟ فكما أن امتلاء البطن بأشهى الأطعمة يجعل المعدة تتقزز تقززا شديدا ..كذلك أنت يا هرميا فقد أصبحت رؤيتك تصيبنى بالغثيان ، لقد كرهتك كرها شديدا جعلنى أمقت وجودك فى أى مكان من المحتمل أن تقع عيناى عليك فيه ..

ثم أخذ يسير مبتعدا وهويقول :

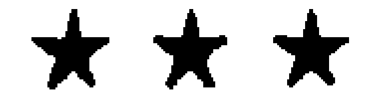
– إن هيلينا الجميلة هى غايتى الآن .. سأبحث عنها فى كل مكان .. فإذا ما وجدتها قضيت ما تبقى من عمرى إلى جوارها ..

بعد ذهابه إثر هيلينا بلحظات استيقظت هرميا من نومها فزعة ، فقد رأت فى نومها كابوساً رهيباً ، رأت ثعبانا ضخما يفترسها بينما حبيبها ليساندر واقف لا يبدى حراكا ، ولم يكلف نفسه حتى مقاومة الثعبان .. بل كان يبتسم والثعبان يلتهم قلبها ..

نظرت هرميا المسكينة إلى الموضع الذى نام فيه ليساندر الليلة الماضية ، فوجدته خاليا ، ثم أخذت تجول ببصرها فى أرجاء المكان فلما لم تعثر له على أثر أخذت تصيح باكية

– ليساندر .. يا حبيبى !؟.. أين أنت .. مالى لا أراك !؟. مالى لا أسمعك !؟..

ثم وضعت يدها على صدرها وكأنها تتحسن قلبها المضطرب ..ومالبثت أن راحت فى البكاء وهى تصرخ – ليساندر .. ليساندر تعال .. فإنى جد خائفة ..



الفصل الثالث

فى الموعد والمكان الذى سبق وأن حددهما كوينس النجار قائد الفرقة المسرحية حضر جميع الأفراد .. فقد كان عليهم طبقا لتعليمات كوينس أن يضعوا التفاصيل النهائية للمسرحية التى يزمعون تمثيلها فى حضرة الملك ومدعويه ليلة زفافه ، وقد كان اختيار كوينس للغابة كموقع "للبروڤه " النهائية راجع إلى ملاءمة المكان من ناحية الاتساع والرحابة للتدريب الجدى حتى تخرج المسرحية فى صورة لائقة .. فهم وأن كانوا طامعين فى مكافأة مجزية يهبهم الملك إياها ، إلا أنهم كانوا يخشون أيضا أن تخرج تمثيليتهم فى صورة مخزية تعرضهم للشنق ..

الآن .. كوينس فى الغابة يقوم بدوره التقليدى كقائد ومخرج .. فبعد أن أطمأن إلى أكتمال العدد قال بصوت حاول جهده أن يكون رزينا :

– لقد أكتمل جمعنا فى هذا المكان الصالح للمران .. فهذه البقعة الخضراء ستكون مسرحنا ، وهذه الأيكة (أشجار مجتمعه) ، ستكون مكان تغيير الثياب .. أستعدوا .. سنبدأ العمل فورا ..

رفع بوتوم يده طالبا الإذن بالكلام فلما سمح له كوينس قال بوتوم :

– لقد راجعت التمثيلية مراجعة جيدة ، ولى ملحوظة صغيرة عليها .

كوينس : تفضل يا بوتوم ..

بوتوم : هل يصح أن يسحب بيراموس سيفه ويقتل نفسه فى أول مشاهد المسرحية !؟.. أليس هذا غريبا !؟ ثم إن السيدات لن يحتملن هذا المنظر .. لابد من تعديل لهذا الأمر ..

قال ستارفلنج معقبا : أنت محق يا بوتوم .. ما رأيك يا كوينس فى أن نترك مشهد القتل للنهاية ..

فقال بوتوم معترضا : لا .. يجب أن تعرف السيدات أن بيراموس لن يموت فى الحقيقة ..وأن سيوفنا التى نؤدى بها الأدوار لاتؤذى .. ولكى نزيدهم اطمئنانا سأقول إنى أنا بيراموس لست بيراموس بل أنا بوتوم النساج ، وهكذا يذهب عنهم الخوف ..

كان كوينس فى أثناء هذا الحوار الدائر يفكر فى تلك المشكلة التى أثارها بوتوم ..ولما اهتدى إلى الحل المناسب من وجهة نظره صاح :

– اسكتوا .. لقد وجدتها .. سأقوم بإعداد افتتاحية شعرية من ستة أبيات و ..

قاطعه بوتوم : لا .. اجعلها ثمانية أبيات ..

نظر كوينس إلى بوتوم نظرة عاتبة عاد بعدها بوتوم إلى موقعه .. فى حين استطرد كوينس :

– وفى هذه الافتتاحية سنشرح كل شىء أمام النظارة حتى يستعدوا للمشاهد الدموية مثل مشهد الأسد .. أو مشهد القتل ..

قال سناوت : بمناسبة ذكر الأسد .. ألن تخاف السيدات ؟..

وأجابه بوتوم : إن الأسد حيوان شديد التوحش .. لذا أرى أن يقول الذى يمثل دوره للناس : سيداتى أرجوكن ألا تخفن أو ترتعدن فحياتى فداء لكن وأذا ظننتن أننى جئت هنا أسدا فإنى أسف لذلك شديد الأسف ولكننى لست أسدا .. إنى كغيرى من الرجال ، ثم يذكر حقيقة اسمه وليقل لهم فى صراحة إنه سنج الإسكافى ..

قطب كوينس جبينه .. ثم أخذ يمرّر يده على ذقنه ثم قال :

– وهو كذلك .. هذا اقتراح جيدا يا بوتوم .. والآن ننتقل إلى مشكله أخرى .. المفروض أن بيراموس وتسبى يتقابلان فى ضوء القمر والسؤال الآن هل سيضىء القمر فى ليلة زفاف تيسيوس ؟..

صاح بوتوم : هاتوا التقويم وانظروا فيه هل سيضئ القمر فى تلك الليلة ؟..

أخرج كوينس تقويما من جيب معطفه وأسرعت خمسة رؤوس معه تطل عليه ثم قال كوينس : نعم .. سيضىء القمر فى تلك الليلة ..

فقـال بوتوم : إذن علينا أن نتـرك أحد جانبـى نافذة الغرفـة التى سنمثل فيها مفتوحا حتى يتسلل إليها ضوء القمر ..

أمّن كوينس على كلام بوتوم وقال : نعم .. ويمكننا أيضا أن نختار أحدنا ليمـثل دور ضوء القمر وسيحـمل هذا المـمثل فانوساً مضـيئاً وحزمـة من الأعشـاب ..والآن .. بقى أمر أخـر ولكنه هام جدا .. يجب أن يكون فى المسرح جـدار لأن بيراموس وتسـبى كما تقول القـصة كانا يكلمان بعضـهما من خلال ثقب فى الجدار ..

فقال سناوت : لا يمكن أن نضع جدارا فى المسرح .. أليس كذلك يا بوتوم ؟..

تقدم بوتوم قائلا : يجب أن يمثل أحدنا دور الحائط ..

تساءل كوينس : وكيف يمكن لشخص أن يمثل دور حائط ؟..

قال بوتوم : سنلطخ مـلابسه بالجبس أو الصلصـال .. ثم عليه أن يشكل بأصـابعـه هيئـة الثـقب الذى من خلاله يتـصل بيرامـوس بتسبى ..

رفع كوينس يده محييـا بوتوم على حله الفريد لمشكلة الحائط هذه ثم أمر أفراد فرقته بالانتظام والبدء فى التمثيل ثم قال :

– عليكم بالإجادة .. وانتهزوا فرصة خلو الغابة من أى مخلوق كى تحسنوا عملكم فى هدوء ..

ولم يكن كوينس يعلم أن هناك من يراقبهم ويستمع لأحاديثهم من بداية اجتماعـهم وله العذر فى ذلك .. فمن يراقبهم كان كـائنا خفيا لا يمكن للعينى أن تراه أبدا ..كان بك الجنى الظريف والذى كان يضحك بشدة لحوارهم الذى استمع إليه .. فلما بدأوا التمثيل .. تسلق شجرة عالية وأخذ يتابع أداءهم وهو يقول :

– مع أنهم يمثلـون على مـقربـة من مـرقد مـلكة الجن .. إلا أننى سأشـاهد مسرحيـتهم حتى نهايتـها وربما استطعت أن أجـد لنفسى دوراً فيها ..

فتح كوينس مجلده وأعطى الإشارة كى تبدأ المسرحية ثم قال :

– تقدم يا بوتوم .. أنت الآن بيراموس

تقدم بوتوم إلى وسط الموقع المختار .. ثم مد ذراعيه للأمام قائلا :

– تسبى .. إن للزهور الخطرة رائحة طيبة العبير ..

همس كوينس ملقناً إياه .. العطرة .. العطرة .. للزهور العطرة ..

عاد بوتوم يقـول : تسبى إن للزهور العـطرة رائحة طيبـة العبـير وهكذا رائحة أنفاسك يا تسبـى .. ماذا !؟ إنى أسمع صوتا .. انتظرى وسأعود إليك بعد قليل ..

ثم أسرع بوتوم يتـوارى خلف مجمـوعة الأشجـار فى حين سـأل فلوت كوينس :

- هل أتقدم أنا الآن ..؟.

كوينس نعم . أنت تسبى .

وضع فلوت يديه على صدره وقال بصوت رفيه :

- أى بيرامـوس .. الناصع البياض كـالسوسن ، يا من لونه كلون أكثر الزهور سواداً ..

صاح كوينس : لا توجد زهور سوداء .. أكثر الزهور بياضاً ..

فلوت . يا من لونه كلون أكثـر الزهور بياضا .. يا أصيـلاً كالجواد الأصيل الذى لا يتعب ..

كوينس : ادخل يابوتوم مرة أخرى ..

تقدم بوتوم وهو مازال يمد ذراعيه قائلا :

- لو أنى أصيل يا تسبى الحسناء لكنت لك وحدك ..

فى تلك اللحظة رفع بك الذى كان جالسـا أعلى الشجرة يراقب يده وهزها بسرعة فائقـة فى الفضاء فتحول وجـه بوتوم إلى وجه حمار حقيقى .. فلما رآه أصـحابه على هذه الصورة فروا هاربين فى خوف شديد .. إلا بوتوم نفسه الذى كان يجهل ما آل إليه مصيره ..

بوتوم : لماذا تجرون كالمجانين ؟ هل تقصدون إخافتى ؟.. حسنا إن بوتوم لا يخاف أبدا ..ارجعوا ياحمقى !.. أرجعوا لنستكمل عملنا .

ولكنهم كانوا قـد اختفوا هاربين ، فلمـا وجد بوتوم نفسـه وحيدا

وسط الغابة الشاسعة قال لنفسه : المجانين !! لاشك أنهم يراقبونني الآن ويظنون أنى خائف ..سأغنى بأعلى صوت حتى يعرفوا أننى لا أخاف أبدا .

ثم أخذ يسير رافعا عقيراته بالغناء ..

- ديك الصباح يكاكى .

والعصفور على الشجر يزقزق .

من ذا الذى يكذب الديك .

إذا صاح .. كوكو .. كوكو ؟..

.. مازال سائرا يغنى حتى اقترب من موضع نوم الملكة تيتانيا ملكة الجان .. التى استيقظت على صوته الأجش قائلة :

- من ذلك الملاك الذى أيقظنى بغنائه العذب ؟..

فلما وقعت عيناها على بوتوم ذى رأس الحمار تعلق قلبها به بفعل عصارة الزهرة المسحورة التى صبها زوجها على جفنيها ..

فهبت واقفة وأسرعت تعدو خلف بوتوم قائلة :

- أرجوك أيها الأنسى الرقيق أن تعيد الغناء .. فقد أطربتنى أنغامك وأفتتنت عيناى بصورتك .. هل أركع عند قدميك وأقول لك أحبك .. أحبك ؟..

أجابها بوتوم وهو لا يعلم أن له وجه حمار :

أظن يا سيدتى أنه ليس هناك سبب يدفعك إلى ذلك ..ومع ذلك فأنا أعلم أن العقل والحب لا يجتمعان .. ولا أرى مانعا أبدا فى أن تحب سيدة مثلك رجلا مثلى ..

فقالت تيتانيا : إن لك من رجاحة العقل نصيبا يعادل مالك من جمال ..

شعر بوتوم بالتوجس من هذا الإطراء الذى لم يعتقد أبدا فى استحقاقه له .. لذا أجابها بكلمات حذرة :

– أنا فى الحقيقة لا أملك عقلا ولا حسنا .. يكفينى فقط أن يكون لدى قدر من العقل يخرجنى من هذه الغابة ..

أجابته تيتانيا وهى تلمس وجهه :

– لا تفكر أبدا فى الخروج من هذه الغابة .. أنت ملكى الآن شئت هذا أم أبيت اعلم يا حبيبى أننى ملكة الجان .. وسأجعل حياتك معى مريحة بقدر حبى لك .. سأكلف الجان بخدمتك .. سأجعلهم يأتون لك باللآلئ من أعماق البحار ، ويغنون لك وأنت نائم على فراش من الورود ..

ثم نادت على أتباعها وأمرتهم بالسهر على راحة بوتوم حبيبها .. أما هو فقد كان فى حيرة بالغة لكل هذه الحفاوة والاهتمام اللذين يعامل بهما من قبل الملكة وأتباعها ..وكان يقول لنفسه :

.. أنا بوتوم الحقير .. النساج صاحب اليد الخشنة القذرة من كثرة العمل اليدوى

أنا الذى لا أصلح لأن أكون حبيبا .. أو حتى عدوً ..

أنا الذى هو موضع سخرية الجميع ..

كيف يحدث كل هذا لى ؟.. ولماذا ؟.. ولماذا أنا بالذات ؟..

ولكنه أفاق على قول الملكة لأتباعها ..

– خذوه .. وأطعموه المشمش والتوت وأجمل الفواكه ..

اسرقوا له أكياس العسل من النحل ..

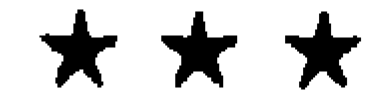
واسقوه الشهد .

حتى إذا ما جاء موعد نومه ..

امنعوا عنه ضوء القمر حتي لا يزعجه فى سباته .

.. فجميعكم .. وأنا معكم ..

فى خدمة ذلك الحبيب الغالى ..



.. كان بك الجنى الظريف سـعيدا بكل مـا فعله .. فقـد قلب الأمور رأسا على عقب تماما .. فها هى تيتانـيا ملكة الجان غارقة حتى أذنيها فى حب بوتوم صاحب وجه الحـمار ..وهاهى الفرقة المسرحـية وقد تبددت آمالها فى الهواء وخاب مشروعها قبل أن يبدأ ..وليساندر فقد الاهتمام بهرميا .. وأتجه بكافة حواسه إلى هيلينا ..

كل هذا أحدثه الجنى الظريف بألاعيبه الماكرة وأفعاله الخبيثة ..

بقى أن ينقل إلى أوبيرون ملك الجان خـبر تيتانيا وعشقـها الكبير للآدمى الحمـار وهو يعلم أن سيده سيـسعد غاية السعـادة عندما يعرف مـا آل إليه مصـير زوجتـه العنيدة .. وفى الوقت نفسه الذى دخل فيه "بك " ، إلى حضرة سيده ، كان هو نفسه يفكر ..

– ترى .. هل استـيقظت تيتـانيا من نومهـا ، وهل فعل عصـير " زهرة الحب المتعطل " ، فـعله ؟ وعشقت وتعلق قلبـها بأول من رأت عيناها؟.. ومن سيكون هذا أهو دب أم نمر .. أم أسد !؟..

وسمع أوبيرون صوتا يقول : حمار ..

فالتفت بسرعة ناحية الصوت .. فرأى بك واقفا أمامه يقول :

– حمـار .. أحبت سيـدتى تيتـانيا حمـاراً ..كتم أوبيـرون ضحكة كادت أن تنفجر من بين شفتيه الصارمتين .. وسأل بك :

- تقول حماراً !؟ كيف هذا ؟!..

أجاب بك وهو يضحك :

- كان جماعة من الغوغاء .. صناع خشنون يعدون لمسرحية يمثلونها فى يوم عرس تيسيوس العظيم ، وكان أغباهم وأسخفهم رجلاً اسمه بوتوم يقوم بدور بيراموس فى مسرحيتهم الفاشلة ..فانتهزت فرصة أتيحت لى ووضعت على رأس ذلك المعتوه رأس حمار ..

قهقه ملك الجان عالياً : ثم قال وهو لايكاد يتوقف عن قهقهته :

- هه .. ثم ماذا حدث ؟..

قال بك : فلما خرج بوتوم هذا على أصحابه بوجهه الجديد .. ووقعت أعينهم عليه طاروا كالبط حين يشاهد الصياد .. أو كغربان الحقول حين تسمع طلقات البنادق .. فروا هاربين يطلبون النجاة لأنفسهم .. وبينما هم يهربون أصابتهم جمادات الطريق إصابات بالغة .. فمنهم من كان يقع على الحجارة الصلبة .. ومنهم من علقت بثيابه الأشواك الحادة .. كان منظرا مضحكا للغاية تمنيت لو أتيحت لسموكم فرصة مشاهدته ..

أوبيرون : ثم ؟..

استطرد قائلاً : ثم استيقظت مولاتى فوجدت أمامها بوتوم الذى بقى وحيدا بعد فرار أصحابه .. كان يغنى بصوت قريب إلى صوت

صاحب وجهه ..ورغم ذلك فقد وصفته مولاتى بالملاك ..وهاهى الآن تكرمه وتدلله لتثبت بذلك المقولة الخالدة " الحب أعمى " ..

عقب أوبيرون على حكاية بك قائلا :

- إن ما حدث لتيتانيا أبشع مما كنت أدبر .. ولكن لا بأس علها تتأدب وتتنازل لى عن فتاها الهندى ..وماذا حدث بشأن الفتى الأثينى ؟..

قال بك بحماس : لقد فعلت ما أوصيتنى به يا مولاى .. سكبت العصارة على جفنيه ..وكانت الفتاة الأثينية راقدة إلى جواره ولابد أنها أول من رأته عيناه حين استيقظ ..

فقال أوبيرون : أحسنت ..

ثم قطع كلامه بعد أن سمع أصوات خطى تقترب من موضع وقوفهما ..

كان ديمتريوس وهرميا يسيران وهما يتجادلان :

فقال بك بعد أن لمحهما :

- هذه هى الفتاة .. ولكن ليس هذا هو الفتى الأثينى الذى وضعت العصارة على جفنيه ..

فلكزه أوبيرون بقوة قائلا : لقد تعقدت الأمور تماما بسبب طيشك .. تعال ننصت إلى حديثهما ..

كانت هرميا شاحبة اللون ، وقد تورمتا عيناها من أثر البكاء على حبيبها ليساندر الذى كان ينام بالقرب منها ، فلما استيقظت ولم تجده ظنت أن مكروها قد حلّ به .. فسارت فى الغابة على غير هدى تبحث عنه .. فتقابلت مع ديمتريوس الذى كان يبحث عنها بدوره ..

قالت هرميا : ديمتريوس .. أيها الشقى ..ماذا فعلت بليساندر ؟ هل دفعتك غيرتك على قتله ؟.. هل لطخت يديك الآثمتين بدمائه الطاهرة؟ .. إذا كنت فعلت ذلك فألحقنى به .. فلن تطيب لى الحياة من بعده أبدا ..

أجابها ديمتريوس : لماذا تغلظين القول لى .. وأنا المتيم بحبك ؟..

هرميا : اغرب عن وجهى أيها الكلب .. قتلته إذن ؟.. هل كنت تجرؤ على النظر إليه وهو فى يقظته ؟ .. هل قتلته فى نومه ؟ ألا ما أعظم شجاعتك حين أقدمت على هذه الفعلة الشنعاء .. ألا تستطيع دودة أو ثعبان صغير أن يفعل ما فعلته ؟..

فقال ديمتريوس مدافعاً عن نفسه :

– أنت مخطئة يا هرميا .. إنى لم أقتل ليساندر وإن كنت أتمنى أن أفعل هذا ..

فسألته هرميا بلهفة : أين هو إذن !؟.. أخبرنى عن مكانه ..

فقال ديمتريوس : وإذا ما فعلت .. فماذا يكون جزائى ..؟..

أجابته هرميا بغيظ .

- سيكون جزاؤك ألا تراني بعد الآن .. وأبتعد أنا عن رؤية وجهك الكريه .. إنك لن تراني أبدا بعد اليوم سواء كان ليساندر حبيبي ميتا أو حيا ..

ثم أخذت تعدو في الغابة وهي تنادي :

- ليساندر ؟ ليساندر ؟.. أين أنت يا حبيبي ؟..

.. كان البحث عن هرميا ..والفرار من هيلينا قد أنهكا قوى ديمتريوس الذي أصابه اليأس من استمالة هرميا وكان ما كان من اتهامها له بقتل ليساندر .. وهو من دمه برئ . . ثم فرارها منه وهي تقسم بأنه لم ولن تحبه يوما ..

.. ونظر أوبيرون إلى بك معاتبا :

- أرأيت ما صنعت يا بك ؟ .. لقد أفسدت الأمور حقا .. وضعت العصارة في عين محب حقيقي .. والآن عليك أن تصلح خطأك الفاحش ..

تساءل بك : وماذا أفعل ؟..

قال أوبيرون : حاول أن تجد هيلينا وأحضرها إلى هذا المكان .. ليكون في انتظرها هذا الشاب النائم (وأشار إلى ديمتريوس) ، الذي سأتكفل بسحر عينيه وأغرس في قلبه حب هيلينا البائسة ..أسرع يا بك أسرع قبل أن يستيقظ هذا الفتى ..

نفذ بك أمر مولاه وأبتعد باحثا عن هيلينا ، أما أوبيرون فقد أمسك بيده " زهرة الحب المتعطل " ، وعصرها فوق جفنى ديمتريوس النائم وهو يقول

- يا عصارة الزهرة الحمراء .. اضربى بسهم كيوبيد .. غوصى فى حدقتى عينى هذا الفتى .. حتى تتألق حبيبته فى ناظريه ..

وما كاد ينتهى من تعويذته حتى كان بك قد جاء وبصحبته هيلينا قائلا :

- لقد أحضرتها يا مولاى .. ولكن أتعلم من الآتى خلفى الآن ؟ إنه الفتى الذى أخطأت ووضعت العصارة فى جفنيه .. اسمه ليساندر على ما سمعت .. أعتقد يا مولاى أن لقاء هؤلاء الأربعة .. الشابين والفتاتين سيكون مثيرا .. ألا ما أشد غباء هؤلاء الآدميين !! صه يا مولاى .. إنهما قادمان ..

كان ليساندر مايزال يبث أوجاع غرامه وآلام حبه على مسامع هيلينا التى مازالت تعتقد أن الفتى ما هو إلا ساخر بشخصها .

.. قال ليساندر باكيا :

- انظرى ياهيلينا .. ها أنا أبكى أمامك .. فلو كنت أسخر منك هل كنت أبكى كل هذا البكاء ؟ أقسم أنى لك محب وعاشق ..

ولكن هيلينا كانت متوجسة من اهتمامه المفاجئ والزائد بها .. فقالت :

– ألم تقسم من قبل لهرميا بأنك لها المحب والعاشق ؟.

ليساندر : لم أكن أملك عقلي وقتئذاك ..

هيلينا : ومازلت لا تملك عقلك الآن .. أنت تحب هرميا فلماذا تصر على السخرية منى إلى هذا الحد ؟..

فصاح ليساندر : هل أصرخ أكثر من هذا .. كيف أقدم لك الدليل على حبى ؟.. ماذا أفعل حتى تستجيبى لعواطفى نحوك والتى لا أستطيع كبح جماحها ؟..

وأيقظ صراخه ديمتريوس النائم .. ففتح عينيه قائلا :

– صوت هيلينا هذا الذى أسمعه .. أين أنت يا هيلينا ؟..

ثم هبّ واقفا فوقعت عيناه أول ما وقعت على هيلينا ، وأتى السحر فعله فإذا به يتقدم نحوها قائلا :

– هيلينا .. أيتها المعبودة ! أيتها الفتاة الكاملة .. أيتها المخلوقة المقدسة .. ها قد أتيت لتخمدى نارا تشتعل فى قلبى ..

رفعت هيلينا حاجبيها فى دهشة .. وبقيت فترة لا تقوى على الكلام بينما استطرد ديمتريوس .. هيلينا .. يا صاحبة قلبى ومالكته ..

قاطعته هيلينا قائلة وهى تنقل بصرها بين ديمتريوس وليساندر :

– ماذا حدث لكم جميعا ؟ هل اتفقتم كلكم على الاستهزاء بى

والسخرية منى ؟ ألا يحب كل منكما هرميا ..؟..

فقال ليساندر موجها حديثه إلى ديمتريوس :

– حقا .. ماذا تريد منها يا ديمتريوس .. ألا تحب هرميا ؟ عليك بها فأنا متنازل عنها لك بطيب خاطر ..

أجابه ديمتريوس : لا .. بل احتفظ بها لنفسك .. فقد ذهب حبى لها ..

وصاحت هيلينا : كفاكما .. فليصمت كلاكما .. فكلاكما يصيبنى بالغثيان .. كيف أتتكما الجرأة كى تسخرا من مسكينة مثلى ؟.. انصرفا لحالكما وابتعدا عنى ..اتركانى لشأنى ..

ثم راحت فى بكاء متواصل قطعته مرارا بآهات ..

قال بك الذى كان يرقب الأحداث :

– مسكينة هذه الآدمية ..

فأجابه أوبيرون . ومسكينة أيضا تلك القادمة ..

نظر بك إلى حيث أشار أوبيرون فوجد هرميا آتية إلى حيث كان ليساندر وديمتريوس يتناقشان ويتشاجران على حب هيلينا .. فقد ترامى إلى أسماعها وهى تسير باحثه عن ليساندر ، صوته وقد علا أثناء أحتدامه فتتبعت الصوت وهى غير مصدقة أنها – أخيراً – عثرت على ضالتها ..

فلما رأت ليساندر أسرعت نحوه قائلة :

- ليساندر .. حبيبى .. أين كنت ؟ .. لقد طفت الغابة كلها بحثا عنك حتى سمعت صوتك هنا .. ألا شكرا لأذنى التى هديتنى قبل عينى إلى موقعك ..

ومدت يدها لتحتضنه ولكنه أشاح بوجهه عنها فسألته :

- ماذا دهاك ياليساندر ؟.. ولماذا تشيح بوجهك عنى !؟.

فأجابها بجفاء .. لقد ابتعدت عنك طواعية يا هرميا .. فلماذا كلفت نفسك عناء البحث عنى ؟..

صاحت هرميا بدهشة : ماذا تقول !؟ لا يمكن أن تكون قد قصدت ماقلته ؟..

ليساندر : بل قصدت كل كلمة !..

كانت هيلينا تنقل نظرها بين الثلاثة وهى تتمتم ،

- مؤامرة .. تلك ولا شك مؤامرة حاكها هؤلاء الملاعين ضدى ..

ثم صاحت فيهم :

- هرميا الشريرة !.. ليساندر الخائن .. ديمتريوس الفظ غليظ القلب ، ماذا دهاكم ؟.. هل أنا الآن أسيرة فى حبائل سخريتكم الخبيثة ؟.. ماذا فعلت بكم حتى أستحق منكم هذا العقاب ؟.

قاطعها ليساندر : حبيبتى هيلينا .. أنا لا أخدعك أبدا ..

فقالت هرميا : لا تسخر منها هكذا أيها الحبيب ..

تحول ليساندر إلى هرميا قائلا بخشونة :

– ومن قال إننى أسخر منها .. أنا أحبها فعلا ..

هرميا : وأنا ..!؟.

ليساندر : اذهبى إلى الجحيم أو إلى أى مكان آخر لا أراك فيه ..

مال الجنى الظريف على أذن مولاه :

– الأمور تتعقد أكثر .. وأكثر ..

ونهره أوبيرون .. انتظر ..واسمع ..

تقدم ديمتريوس وطوق خصر هيلينا بيده وقال وهو يبتعد بها بعيدا :

– اذهبا كلاكما إلى الجحيم .. فهيلينا هى حبيبتى وأنا حبيبها الأوحد ..

فاعترضه ليساندر بجسمه : لا .. أنا الأجدر بها ..

ديمتريوس : بل أنا الأجدر ..

صاح به ليساندر : حسنا .. أنا لا أرى حلاً لهذه المعضلة إلا المبارزة يجب أن يبقى واحد منا على هذه الأرض حتى ينعم بهيلينا الجميلة ..

صاح ديمتريوس بدوره : أتظننى أجبن عن مبارزتك ؟.. كلا أيها الغرّ .. ستجد فى حسامى فصل القول ..

ليساندر : اتبعنى أذن إلى موضع يصلح للمبارزة .. وإياك أن تهرب .

ديمتريوس : أهرب !؟.. أنت واهم فإن هروبك أنت هو ما أخشاه ..

.. هوى أوبيرون بيده الثقيلة على رأس بك قائلا :

– أرأيت المدى الذى وصلت إليه الأمور بين هؤلاء الفتية ؟.. سيتبارزان وقد يموت أحدهما .. فماذا أنت فاعل ؟.

أجاب بك .. وماذا فعلت غير ما أمرتنى به ؟ .. كل ما أتيت به خطأ صغير غير مقصود .. ثم إن أقتتالهما قد يكون مبعث تسلية لنا ..

صفعه أوبيرون مرة أخرى : تسلية ؟ هل فى فقد أحدهما حياته تسلية؟.. اسمع أيها الشقى .. أنت الذى أخطأت .. وعليك أن تصلح خطأك ..

بك (مغلوبا على أمره) ، وماذا تريدنى أن أفعل يا سيدى ؟..

أوبيرون : عجل بالظلام ..غط السماء بالضباب حتى يضل هذان المتنافسان طريقهما ويصعب على كل منهما الالتقاء بالآخر .. قلد صوت ليساندر وصوت صاحبه حتى يتخبطا فى هذا الظلام الدامس .. وما إن يصيبهما الملل ويهدهما التعب .. ويناما .. حتى تجئ

أنت وتصب فى عين ليساندر سائل هذا العشب الذى هو ترياق (لزهرة الحب المتعطل) .. فإذا ما أفاق من نومه وجد سحره قد زال وعاد إلى محبوبته هرميا .. هيا .. إذهب لتنفيذ ما أمرتك به بينما سأذهب أنا إلى تيتانيا لأرى ما سأفعله معها وما سأقرره بشأنها أسرع لتأدية المهمة العاجلة وأخذ يغنى قائلا :

صعودا .. هبوطا ..

صعودا .. هبوطا ..

صعودا أقودهم ..

هبوطا أسير بهم ..

كل البلدان تخشانى ..

وكل الناس ترهبنى ..

لأنه بيدى وحدى ..

أقودهم صعودا .. وهبوطا ..

كان ليساندر شاهرا سيفه يتحسس خطاه وسط الظلام الدامس وهو ينادى : أين أنت يا ديمتريوس ؟.. اظهر أيها الجبان ؟..

فقال بك مقلداً صوت ديمتريوس :

– أنا هنا أيها الوغد .. سيفى فى يدى .. مستعد لفصل رأسك عن عنقك ..

سار ليساندر تجاه مصدر الصوت وإذ بصوت ديمتريوس يأتيه من خلفه

- هل تهرب ..؟ . أين شجاعتك التى طالما تغنيت بها ؟..

فأستدار ليساندر بسرعة يضرب بسيفه فى الهواء :

- قف .. قف أيها الجبان ..

فقال بك مرة أخرى بصوت ديمتريوس :

- أنا ثابت فى مكانى .. أنت الذى تبتعد خوفاً

وهكذا كان بك يقلد صوت ليساندر تارة ، وديمتريوس تارة أخرى ..

فيحتار المتنافسان اللذان لايشك أحدهما فى صوت صاحبه .. فيأتى كل منهما بحركات وإشارات تزيد من تعبه وشقاه .. مرة يجرى ديمتريوس الحقيقى خلف صوت ليساندر الزائف ..ومرة أخرى يضرب ليساندر بسيفه فى الهواء على ظن منه أن ديمتريوس خلفه .. بينما فى الحقيقة كان بك هو الذى يسبب كل هذا الأرتباك الذى عانى منه الاثنان كثيرا ..

وكان بك يضحك كثيرا وهو يرى علامات الدهشة البالغة على وجه كل منهما وهو يسمع صوت نفسه .. الأمر الذى أجهدهما قليلا .. فثبت كل منهما فى موقعه ومالبث أن راح الاثنان فى سبات عميق ..

تاركين أمر المبارزة إلـى الصباح حيث يمكن ضوء النـار كل منهما من مواجهة الآخر وجها لوجه

بينما كـان ليسـاندر وديمتـريوس قد ابتعدا داخل الأدغـال كانت هيلينا مازالت تشكو حالها أمام هرميا

قالت هيلينا باكية كفانـى ما لقيت اليوم من أهوال ، سأعود إلى أثينا وأبتعد عن الجـميع .أنا الآن بلا صاحبة وبلا حـبيب سـأرجع إلى دارى نادمة على معرفتى بكم .

أجابتها هرميا خيراً تفعلين برجوعك إلى دارك أما أنا فسأبحث عن حبيـبى ليسـاندر وأنا أتمنى ألا يكون قد أصـابه أى مكروه بفعل فتاك المجنون .

وسـارت كل منهمـا إلى غايتها ولكن الظلام الحـالك .ووحشـة الغابة ودروبها المعقدة جعلت كل منهما - على حدة - تقرر النوم فى موضـع مناسب أنتظارا لظهور الصباح

.. قال بك محدثا نفسه الأربعة ناموا الأربعة ناموا

ثم اقتـرب من ليسـاندر ووضـع على جـفنيه عصـارة العشب الذى أعطاه إياه أوبيرون ملك الجـان والذى كان هو نفسه ترياق مـاسكبه من قبل على جفنى نفس الشـاب وكان بك يغنى وهو يصب السائل قائلاً :

نم على الأرض هادئا

وعندما تستيقظ ..

ستنس كل مافات

وستجد كل السعادة .

فى رؤية عينى حبيبتك السابقه ..

★ ★ ★

الفصل الرابع

كان بوتوم .. النساج .. الجلف صاحب وجه الحمار لا يزال ينعم بأوقاته مع تيتانيا ملكة الجان .. وهى الآن جالسة بجواره مفترشين الورود تصب فى أذنيه الكبيرتين جدا أعذب الكلمات وأجمل العبارات :– دعنى أداعب خديك اللطيفين ، دعنى أغرس الورود فى رأسك .. دعنى أقبل أذنيك العريضتين الجميلتين ياهبة الطبيعة لى ..

وكان بوتوم سعيداً كل السعادة بتلك المعاملة المتميزة التى لم يلقها يوما طوال حياته الصعبة ..

وهل يكره الرجل الفظ الفقير أن يكرس الجميع جهودهم لخدمته ؟..

وهل كان يحلم يوما أن يصير محبوبا إلى هذا الحد الذى يتجلى فى مغازلة تيتانيا له ؟..

.. أستأذنته تيتانيا كى تقوم بجولة سريعة فى الغابة لتجمع له الهدايا اللائقة .. وأوصت أتباعها بحسن خدمة حبيبها ..وما أن غابت عن الأنظار حتى بدأ بوتوم فى إلقاء أوامره ..

– أنت أيها الجنى ..تعال وحك لى رأسى

– وأنت تعال لتقتل تلك النحلة المزعجة التى تحوم حولى بمؤخرتها الحمراء ..

– وأنت .. اذهب وأحضر لى حلاقا فأنا أشعر بخصلات شعرى وقد طالت إلى حد كبير وكأن رأسى رأس خنزير برى أو حمار ..

وكان الجميع يسرعون لتلبية رغباته الغريبة ..

.. بينما كانت تيتانيا تبحث عن كل ما يناسب حبيبها ومقداره عندها إذ بها تجد زوجها أوبيرون أمامها ..

تيتانيا : أوبيرون .. ماذا جاء بك هنا ؟..

أجابها أوبيرون بوقار : جئت كى أعيدك إلى صوابك .. أسعيدة أنت وأنت ملكة الجان .. وأنت تبذلين من نفسك وكرامتك لهذا الأبله الكريه .. ألا تخافين وجهه ؟.. ألا يقشعر بدنك من ملمس جلده الخشن ؟..

أطرقت تيتانيا برأسها ثم أجابت فى ذلة :

– ليس الأمر بيدى .. فأنا منجذبة إليه بقوى لا أعرف كنهها .. وأشعر بحبه يتخلل أعماقى ولا حيلة لى فى صده ..

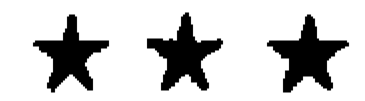
فقال أوبيرون مشفقا : أمرك بيدك ياتيتانيا .. هبى لى الغلام وسأخلصك من هذا المسخ الكريه ..

أجابت تيتانيا : هو لك .. هو لك من الآن وسأرسله إليك ليلتحق بخدمتك ..

فقال أوبيرون فرحا : حسناً فعلت يا تيتانيا يا حبيبتى ويا زوجتى ..

ولكن تيتانيا عادت تقول :

– والآن .. أستودعك .. فحبيبى بوتوم ينتظرنى ..



عادت تيتانيا إلى بوتوم وجلست بجانبه بعد أن قدمت إليه هداياها الثمينة .. ثم سألته وهى تداعب خصلات شعره الكثيفة والممتدة حتى قفاه :

– أتريد طعاما يا بوتوم ؟.. اطلب تجد ..

فأخذ بوتوم يسرد على مسامعها أصناف الطعام التى يحبها .. وأتباع الملكة من الجن يأتون بها إليه بمجرد نطقه لها ..

أكل بوتوم وشرب .. أكل فوق طاقته وأكثر مما تحتمل معدته فكم من ليال قضاها جائعا ..وكم من أوقات اضطر فيها أن يصوم ..

.. وبعد أن انتهى من طعامه بسط جسده على الأرض .. وفعلت تيتانيا مثله ثم مالبثا أن راحا فى نوم عميق ..

فى تلك اللحظة أتى أوبيرون وتابعه بك الجنى الظريف .. فلما أبصرا النائمين قال بك ضاحكا ..

– أرأيت يا مولاى طوال عمرك المديد مثل هذا المنظر ؟..

أخفى أوبيرون ابتسامة وقال برزانة :

– لقد بدأت أرثى لها .. وقلبى يشفق عليها من الحالة المتردية التى وصلت إليها .. اسمع يا بك لقد آن الأوان كى نرفع هذا العذاب عنها .. فهى قد أعطتنى الغلام الهندى .. لذا يجب علينا أن نمحو سحر عينيها ..

فقال بك : الخير فيما تراه يامولاى ..

عاد أوبيرون يقول : عليك بإعادة هذا المعتوه .. وأشار إلى بوتوم – إلى حالته الأولى .. حتى إذا ما استيقظ مثل هؤلاء الأربعة السابقين .. عادوا جميعا إلى أثينا وهم يظنون أن الأحداث التى مرت بهم ما هى إلا حلم عابر ..

ثم مال على تيتانيا وصب على جفنيها عصير السائل الذى يمحو السحر وينهيه ..وجلس مع بك ينتظر يقظتها ..

وبعد فترة .. فتحت تيتانيا عينيها ، فلما أبصرت أوبيرون صاحت :

– زوجى أوبيرون .. أية رؤى رأيتها .. لقد خيل لى أننى أحببت حمارا ..

فقـال أوبيـرون وهو يشيـر إلى بوتوم النائم بجوارها الـذى كان مازال محتفظا بوجه الحمار ..

– ها هو راقد بجانبك ..

صرخت تيتانيا صرخة مدوية وهى تنظر إلى بوتوم :

– ياللبشاعة .. كيف أحببت هذا المسخ الكريه ..

أشار أوبيرون بســرعة إلى بك الذى فهم إشارة ســيده فرفع يديه فى الهواء فاختفى وجه الحمار ، وعاد إلى بوتوم .. الذى كان مايزال نائما رغم كل هذه الضجة .. وجهه الحقيقى ..

.. ووضع أوبيرون يده حول خصر تيتانيا قائلاً :

– فلتعزف الموسيقى الآن .. ولنرقص يا حبيـبتى تيتانيا طربا فقد جددنا ، أنا وأنت ، عـهد الحب .. يالها من مناسبـة سعيدة فـالغد هو موعد زفاف تيسيوس وهيبوليـتا ، وهو أيضا موعد اقتران كل محب بحبيته من هؤلاء الآدميين الذين عبثنا بهم كثيرا تلك الليلة ..

لاح الصبـاح بنوره .. وأخذت الشـمس السخـية ترسل أشـعتـها الدافئة المنيرة إلى كافة الأنحاء ..

وفى القصر الملكى كانت الاستعـدادات تجرى للقيام برحلة الصيد التى أمر بها الملك .. فأعدت كلاب الصيـد الضـخمة ..وجهزت السـهام والنبـال وسرجت الخـيول ، واصطف الأتبـاع ونافخـوا الأبواق فى

انتظار نزول الملك تيسيوس وخطيبته هيبوليتا .

ثم سار ركب الصيد متوغلا فى الغابة . فلما أتوا موقع الصيد أمر الملك أتباعه بالأنتشار كل حسب مهمته وواجبه ..

وبينما تيسيوس يسير وبجواره إيجيوس باحثين عن فرائس يصيدانها إذا بهما يبصران أربعة نيام على الأرض .. وقد ناموا متابعدين وكأن صدفة ما قد شكلتهم على هذه الصورة الغريبة ..

صاح إيجيوس : انظر يا مولاى .. هذه ابنتى نائمة هنا !.. وهذه هيلينا ..وهذا ليساندر ..وهذا ديمتريوس ..

فقال تيسيوس متعجبا :

– ماذا أتى بهم إلى هنا ؟..

ثم سأل إيجيوس .

– أليس هذا هو اليوم الذى يجب فيه على هرميا أن تجيب عمن تختاره زوجا لها ..؟.

أجاب إيجيوس : نعم يا مولاى ..

تيسيوس : فلتأمر رجال الصيد بإيقاظ هؤلاء النيام بأبواقهم وانطلقت الأبواق مدوية فى أرجاء الغابة وتردد صداها فى أنحائها فازداد ضجيجها قوة ..

أخذ النيام يتقلقلون فى نومهم .. ثم بدأوا فى الاستيقاظ واحدا إثر

الآخر . فلما فتحوا أعينهم . وجدوا تيسيوس واقفا على رؤوسهم يحدق فى وجوههم .. هبوا واقفين احتراما واجلالا .. فبادرهم يتسيوس بالسؤال :

– فليتفضل كل منكم بشرح أسباب وجوده فى الغابة على هذه الصورة ؟..

تقدم ليساندر قائلا : مولاى العظيم .. أعتقد أننى جئت هنا مع هرميا فرارا من القانون الأثينى ..

وقال ديمتريوس : وأنا جئت فى أثرهما بعد أن أخبرتنى هيلينا بأمر فرارهما .. •

وقالت هيلينا : وأنا جئت خلف حبيبى ديمتريوس .

أطرق يتسيوس برأسه مفكراً .. وقال إيجيوس :

– أرأيت يا مولاى .. إننى مطالب بتطبيق القانون الأثينى على ابنتى العاصية ونظر إلى ديمتريوس مؤيدا ..ولكن هذا قال :

– لا يا مولاى .. أنا لم أعد أحب هرميا .. لقد ذاب حبى لها مثلما يذوب الثلج بفعل قوى لا أعرفها .. وهيلينا الآن هى خطيبتى وحبيبتى..

صاح تيسيوس : مرحى يا ديمتريوس .. مرحى أيها المحبون الطيبون .. ما أسعدنى بلقاكم ..

نم اسىدا الى ايجيوس فانلاً

ساحالف ارادتك يا إيجيوس فإن ليساندر هو الأجدر بهرميا لذا أعلن موافقتى على رواجه مىها

ثم وجه حديثه إلى ىيمتريوس

وأنت يا ديمتريوس طابت لك الحياة مع عروسك هيلينا الحسناء ولتعم الأفراح أثينا كلها سيكون رفاقنا نحن الثلاثة فى يوم واحد يبلغ فيه كل واحد منا أمله ويطول مراده

ما أجمل لقاء المحبين . وما أروع لم شملهم فلنصرف النظر إذن عما اعترمناه من صيد ، ولتعد إلى أثينا حيث ينتظرنا الفرح وكل السعادة هيا يا أصدقائى

وعاد ركب الصيد إلى القصر عاد خالى الوفاض من أى صيد ثمين إلا من هؤلاء الأربعة الذين حققت تلك الليلة العجيبة أحلامهم السعيدة

بقى شخص خامس لم يهتم أحد بالبحث عنه أو حتى التساؤل عن مصيره ؟ ذلك هو بوتوم الذى استيقظ لتوه فوجد نفسه وحيداً وسط غابة واسعة أخذ يتلفت حوله فى دهشة ويتساءل ويقول

- أين كوينس ؟ .. أين سناج ؟ أين فلوت ؟ أين الفرقة المسرحية ؟ هل تسللوا تاركين إياى نائما ؟ لقد رأيت رؤىً غريبة

حقا رأيت حلما لا يتصوره عقل   حلمت بأنى قد تحولت إلى حمار .. ياله من حلم غريب !!

ولكنى سأطلب من كوينس أن يكتب أنشوده عن هذا الحلم الذى سأقص تفاصيله عليه وستسمى هذه الأنشودة " حلم بوتوم " ..

وسأغنى هذه الأنشودة بنفسى أمام الدوق ..

ثم سار فى دروب الغابة متجها إلى أثينا ، وكان أثناء سيره يرتجل أبياتاً شعرية غريبة تعبر عن رؤياه العجيبة ..

★ ★ ★

فى منزل كوينس بأثينا كان لقاء أفراد الفرقة المسرحية الجديدة الجميع حاضرون ينقصهم شخص واحد هو بوتوم .

سأل كوينس قائد الفرقة :

– ألم يأت خبر عن بوتوم بعد ؟!!..

أجاب فلوت : لا .. إنه حتى لم ينم فى داره ..

قال كوينس بحسرة : لا يمكن أن نمثل المسرحية بدونه ..

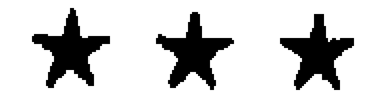
وأضاف سنج : نعم فهو أذكانا وأفضلنا صوتا وأجملنا هيئة ..

كوينس : وماذا سنفعل ؟.. لقد عرفت أن زفاف اثنين من السادة

سـيتم فى نفس يوم زفـاف تيسـيـوس العظيم ،وهذا يعنى خيـرا كثيراً يعود علينا ، ماذا سنفعل ؟ إن وجود بوتوم أمر هام وضـرورى فدوره فى المسرحية .. دور بيراموس دور حيوى ..و ..

وقطع كلام كـوينس طرق عنيف على باب داره .. فلما فـتح الباب دخل بوتوم قائلا :

– مرحى أيهـا السادة .. لا تسـألونى أين كنت ! ولا تشتـتوا ذهنى بالأسئلة التى لن أجـيب عليها أبدا .. يكفى أن تعرفـوا أننى قد مررت بليلة عجيبة ..والآن .. أعـدوا ملابسكم ..وارتدوا أشرطتكم وجواربكم النظيفـة .. وليراجع كل منكم دوره .. وتذكـروا .. يجب أن نظهر فى أحسن صورة .. واحرصـوا على ألا تأكلوا بصـلا أو ثوماً كى لا تكون أنفساكم مبعثاً لضـرر وأذى الحاضـرين ..



الفصل الخامس

جاء اليوم المرتقب .. يوم الحفل الكبير ..

يوم زفاف بتسيوس العظيم على هيبوليتا أميرة الأمازون ..

وطبقـا لما استجد .. فـهو أيضا يوم زفـاف ليساندر على هرمـيا ، وديمتريوس على هيلينا الحسناء ..

الجمـيع فى سعادة .. مـجتمـعون فى قاعـة القصر حـيث تجرى مراسم الاحتفال بتلك المناسبة السعيدة ..

كانت القاعة مليئة على آخرها بالمدعوين من سادة المجتمع الأثينى وأشرافـه .. ومن الأهالى البسطـاء الذين حضروا جـميـعا لمشـاركة الدوق فرحته ..

.. أشار بتـيسوس إلى رئيس الحـفلات مانحـاً إياه الإذن كى يبدأ الاحتفـال .. وتقدم هذا إليه بورقة بها بـيان بمقتطفات الحفل ليـختار منها ما يحب أن يشاهده أولاً ..

تناول تيسيوس البيان وأخذ يقرأ على مسامع زوجته هيبوليتا :

– قصة موقعة قنطورس !؟ ، لا .. إنها مـملة ..

.. وعاد يقرأ قصيدة عن أمجـاد هرقل !؟ يلقيها شاعر أعمى .. لا .. لسنا بحاجة إلى العميان فى هذه الليلة السعيدة ..

وأخذ يســتبعد الفـقرات .. وينتقـد بعضـها حـتى وصل إلى ما هو مكتوب فى الورقة ..

– مسرحية بيراموس وتسبى ..

لفت عنوانهـا انتبـاهه ، فهو لـم يسمع بهـا من قبل فســأل رئيس حفلاته :

– ما هذه المسرحية ؟ من هو مـؤلفها ؟ ومن هم أبطالها ؟..

أجاب رئيس الحفلات مترددا : إنها تمثـيلية يا مولاى ألفها ويمثلها مجموعة غريبة من الحرفيين ..

زاد فضول تيسيوس فعاد يسأل :

– هل تحكى من مأساة أليمة أم هى فكاهية !؟..

أجاب رئيس الحـفلات : لا أعلم بالضــبط يا مولاى .. فـأصحـابها يقولون إنها مأساة مضحكة ؟..

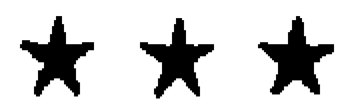
قال تيسيوس متعجبا : وما معنى مأساة مضحكة !؟..

مط رئيس الحفـلات شفتـيه وقال : لا أعلم بالضــبط .. ألم تقرأ يا مولاى مـا هو مكتوب أمـام تلك الفقـرة ؟.. مكتوب مـأساة مضــحكة أشبه ما تكون بالثلج الساخن ..

ضحك تيسيوس عاليا وقال : حسناً .. سنشاهد جميعا هذه التمثيلية ..

أجاب رئيس الحفلات : ولكن يا مولاى .. أعتقد أنها لن تعجب سموكم ..

أصر تيسيوس قائلا : سنشاهد هذه التمثيلية .. استدع الفرقة وليبدأ العرض حالا ..



وبدأ التمثيل ..

ودخل كوينس أولا بصفته صاحب الافتتاحية ..

سار حتى وصل إلى وسط القاعة ..والجميع ينظرون إليه فى دهشة وقد أثار منظره الغريب انتباههم ..

تنحنح كوينس ثم قال بصوت متهدج :

– سيداتى .. سادتى .. يا كل الحاضرون فى هذا اليوم السعيد ..

إذا أخطأنا فى تمثيلنا فعذرنا هو حسن نوايانا .

لقد جئنا لإسعادكم ولم نأت أبدا كى نسىء إلى

أحد منكم .. اسمحوا لنا ببدء العرض ، ولتحفظكم الآلهة ..

ثم تراجع كوينس بأدب .. ونفخ الحارس بوقه فدخل بيراموس وتسبى وتبعهم الحائط وضوء القمر والأسد ..

وتكفل كوينس بالرواية ..

– أيها السادة .. لعلكم تندهشون من هذا المشهد .. هذا الرجل هو بيراموس .. وتلك السيدة هى تسبى أما هذا الرجل الذى عليه الجير .. ويحمل فى يديه قالبا من الجبس فهو يمثل الحائط ..

كان الممثلون يأتون بحركات غريبة أثناء رواية كوينس الذى استطرد قائلا :

– والحائط يا سادة له دور فى أحداث روايتنا .. فهو الذى فصل بين الحبيبين فماذا يفعل العاشقان ..؟

أحدثا ثقبا فى الحائط كانا يتناجيان من خلاله ..

وهذا الرجل ذو المصباح هو القمر .. الذى كان العاشقان يلتقيان على ضوئه الآن وقد عرفنا الأدوار .. تعالوا لنعرف ما حدث لبيراموس وتسبى ..

.. دخل الأسد وزأر .. ثم ..

واندمج الممثلون فى تمثيلهم الذى كان كثيرا ما يواجه بالتهكم والسخرية من كل الحاضرين ، فقد كان الحوار ركيكا يدل على فساد عقل صاحبه ..وكان التمثيل سطحيا يعطى برهانا ساطعا على

سيطرة الغباء على بعض العقول البشرية سيطرة تامة .

صاحت هيبوليتا فى ضجر : إنها أسخف تمثيلية سمعتها فى حياتى ..

وقال ليساندر : فليشنق أصحابها ..

وعلق ديمتريوس : بل يكفى أن تسجنوهم ..

وانتهت المسرحية بعد طول عناء ..وطلب بوتوم الإذن بأن تختم المسرحية برقصة ريفية يرقصها اثنان هما بوتوم نفسه وكوينس ولكن تيسيوس وجه الشكر إلى الفرقة باعتبار أن ما قاموا به هو أقصى ما يستطيعونه بالنظر إلى تواضع قدراتهم وقلة خبرتهم ..

- وانتصف الليل ..

وأشار تيسيوس إلى رئيس حفلاته بأن ينهى الحفل ..

ثم وقف فى الناس مخاطبا :

– لقد أنستنا هذه التمثيلية السمجة مرور الوقت .. فإلى الفراش أيها الأعزاء .. وسيدوم فرحنا أسبوعين .. فأستعدو للقاء الغد ..وبعده ..وبعده ..

فما زالت أفراحنا مستمرة ..

ومازالت ليالينا متوهجة ..

عمتم مساءًا ..

ثم انصرف مع زوجته هيبوليتا .. وتبعه الآخرون .. وما هى إلا لحظات حتى خبت الأنوار .. وساد السكون .

.. بعيدا فى الغابة التى يلفها الظلام ..

ظهرت جماعة الجن مرة أخرى .. فمنتصف الليل هو توقيت ظهورهم والظلام الدامس هو ما يفضلونه ..

كان بك يغنى فى مرح :

– هذا هو وقت اللهو قد حان ..

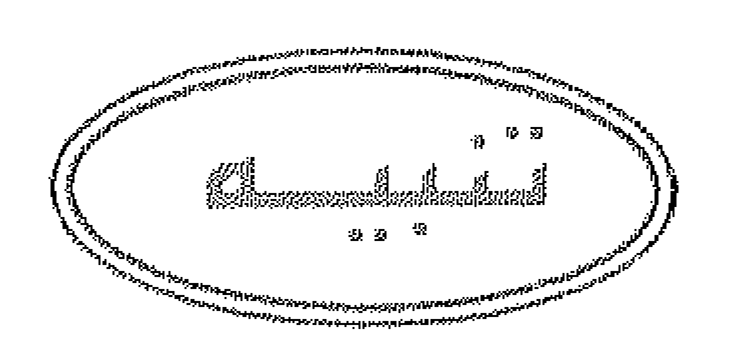
.. فالليل هو أنسب الأوقات للجان ..

فلنبحث عن كل ما يصلح للعب ..

دب .. نمر .. حمار .. أو حتى إنسان ..

★ ★ ★

(تمت)



لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القاريء المسلم ان أحداث هذه الرواية تجرى في مكان تقاس فيه الفضيلة و الرذيلة بمقاييس بعيدة عن المفاهيم و التقاليد الاسلامية و التي يجب أن نتمسك بها ما حيينا و نحن إذ نفتح له نافذة على أدب الغرب نطالبه بالحرص .

فمن الهواء ما يحمل الصحة و من الهواء أيضاً ما يحمل المرض .

* * *



